(اليوم العاشر)

ملحمة شعرية

كتبها

حزين عمر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

الإخراج الفنى والغلاف
صبرى عبد الواحد



الغلاف
والرسوم الداخلية
للفنان محمد قطب

إهــــداء

إلى من علّمونا أن للإنسان إنسانية ولليل فجراً ، وفى الحياة أملاً . . الأساتذة : أحمد زكى عبد الحليم ، عبد الفتاح الديب ، جلال العريان ، محمد فودة ..

وفاءً وحبا

حزين

١٩٩٢

الغـــــربـــة

من جـدةَ .. والْموصلِ .. والخرطومِ .. ومسْقطَ
والقاهرةِ .. وعَمَّانَ .. وتونسْ
كان رجالٌ فى أيديهم نارُ الثارِ تلظَّتْ غيظا
كانت صاروخاً ، مدفعَ رشاشٍ ، طائرةً
كانت عزما
أن تمحوَ نارهُمُ المشرقةُ
غبارَ الظُّــلْمةْ

كانت أفْئدةً
ينشر فيهـــــا التاريخُ
ظلالَ المجــدِ الوارفـــةَ
على شطآن صلاحِ الدينِ
وبيبرسٍ
والفاروقِ وقُطزٍ

كانت أفئدةٌ
توقن أنْ الموتَ حياةٌ
ما دام الذل يعكر صفوَ الفجرِ
ويرفض أن يطلقَـهُ من قيدٍ
يرزح فيه طوال سنينَ
ويخنق أرضَ الوادى فى قبضتهِ
يعصر قلبَ النيل دماءً
عَـمَّـتْ رملَ الطـورِ
وتلهثُ ، تلهث دون حياةٍ
دون مماتٍ . . دون تنفُّسْ

* * *

كان الليلُ ـ وما أطْولَهُ ـ حطَّ جناحَ الظلمِ
على أرْضِ التقديسِ الأبدىِّ الأزلىْ
وافترش ملاءً من عظم الأبـرارِ
وجلْدِ الأخيارِ .. وشَعْرِ الشهداءِ
. . ونامَ عليهِ
ورفعَ الساقَ على الساقِ
وراح يشمُّ نسيمَ النيلِ ويطلقُهُ سُمّاً
رِجْلٌ كانت فوق العقبةِ
تضغط .. تضغط .. تعصر فيهـــا

والأخــرى فــوق البرزخِ
عند مدائننا الوالهةِ الثكلى
تعبثُ فيها بالدانات
ويدُ الليل تضم العقبةَ .. تقهـرُها
وتغطى وجه عروبتها
تطمسهُ طَمْساً مجنوناً
يقتاتُ من الحقد طعاما

* * *

كان الليلُ دموعَ يتيمٍ
طفـــلٍ يحبو فوق الأرصفة المغمورة قهــرا
بين خرائبَ يعوى فيها الخوفُ الهـــادرُ
والطفـــلُ وحيدٌ وسط الظُّـلْمةِ والأشلاءِ
يقلِّبُ.. يبحثُ عن أبويه
ويصـــــرخ
ظـــــل صراخُ الطفل . . دبيبــا
بين زلازلَ . . برقٍ . . رعـــدٍ
من أعْـــداءٍ ما باركهم أبْداً أبْداً
رَبُّ الحُبِّ
نفثوا الذلَّ ــ المتعفِّنَ فى أنْفسهم طول الدهـــرِ
خـــراباً عَمَّ جميعَ الأرضِ

ضَـمَّ الجوعُ إليه الطفـلَ فمزق صــدرهْ
مات الطفـلُ الولهانُ إلى ثدي الأمِ
المأخــوذة غيْلَهْ
مات الطفـلُ . .

* * *

كان الليلُ أنينَ «خديجةَ» جـرَّتْ خِرَقاً فى أرْجلِهـا
تعدو . . تهجـرُ وطنَ الذكرى والأمنيه
تحمل فـوق الرأسِ غُبارا
لَفَّ الشعْـرَ فأذبلَهُ
تحمل فوق الكتفِ صغـاراً من أرْجلهـم .
من أذْرعهـم
تعـدو . . تعـدو
بين الصخرِ ، وبين الظلمة ، والأطلالِ
بين ذئاب الزمنِ الأسودْ
تحت ضلوعِ خديجــةَ يعـوى
شبحٌ شبٌ ، وفـاضَ جنونا
ـ أين الزوجُ ؟ !
ـ مات الزوجُ
ـ فأين القبرُ ؟ وأين النعشُ ، وأينَ الكفــنُ ؟
ـ يده كانت شرقَ الأرضِ . . تضمُّ إليهـا قبضةَ رملٍ

راس الرَّجُـلِ تَوارى غــربا
يرنو العالمَ دون حياةٍ
أما القلبُ فقـد فحّمَهُ غـدرُ النارِ
وداس عليه عـدوُّ الخيرِ
فأضحى القلبُ ـ النبضُ ـ رمالاً
ذابتْ وسطَ البيدِ بسينا
واختلطتْ بدما الهكسوس
وجنودِ الفرعـونِ القاهــرِ
موجَ الحيثيينَ الآثمَ .

تمضى المرأةُ
شعْباً ــ شعبا
دَرْباً . . دربـا
فــوق كثيبِ الرمل تلظَّتْ
أعْلى الرأسْ أزيــز عـــدوٍّ
تمضى المرأة للمجهـول
تحمل فــوق الكتفِ . . صغـــارا
ورجالاً من طمى النيل ! !

* * *

قَلْبَ البيدِ
جــــوارَ الطــورِ

جُحــورُ وحــوشٍ : تلدغُ ، تنهشُ
بالأنيابِ وبالأخلابِ
ومنذُ سنينَ تعانى الجــوع
مضت الأنثى بينَ الجُحْــر وبينَ الشقِّ
ويصــرخُ فــوق الكتف عيالٌ : جوْعاً . . فَزَعــاً
هَمَّتْ افعـى من مرقدِهــا
تنصب رأسا مثلَ ذنوبِ العالمِ أجْمعْ
كان الجسمُ كشجرة نبقٍ
دون غصــونٍ ، ، دون فــروعٍ ، دون وريقــه
هــذا الجلد كلونِ الفقـــرِ
ولــون اليُتْم ، ولون الذُّلــه
الحيةُ تبدو ساكنةً
عـدةُ أمتارٍ قامتُهــا
والسُمْكُ كَـذُبٌ مستلقٍ
وخديجــةُ تمضى ما تدرى
ألوانَ الموتِ ولا طعمَهْ
المــوت تلمَّظَ فى الحيــهْ
وتدلَّى من فمها الآسنْ
فى طرفــةِ عينٍ ، فى خفقهْ
ينقضُ على طفــلٍ بَضٍّ

لم تَـرَهُ عيناهـا إلاّ
بين ثنايا الفكِّ الغـادر
رأسُ الطفـلِ
وذراعاه تدورُ . . تجـدِّف فى اللاوعى
رجْـلُ الطفـلِ تبدُل أعلى . . ومعلَّقـةٌ
هـذى الحيةُ . . تبلع تهضم : رأسَ الطفـلِ
ذراعَ الطفــلِ
وخصـرَ الطفـلِ
وساقَ الطفلِ
. . وقَـرَّتْ عينا ! !
ثـم تراخت . .
جَنْبَ خديجة حين تردَّتْ فـوق الرمل ! !
ثم انسحبتْ بعـد دقائقَ نحو الجُحـرِ
شبعَ البطـنُ !
ربْـعُ اليوم وجِلْدُ خديجـةَ
ملقى يأساً بين الصخـرِ ، وحـرِّ الرملِ
وطفلٌ يحبو فوق الرملِ فيلدغهُ
والآخرُ يعبث بالصدرِ
يستجدى ثدياً يرضعه
لم يرضعْ لبناً . . بل شفقهْ

فتناول شعر النائمةِ
ويشدُّ . . يشدُّ فأيقظَها
لا تبكى وِلْـداً مفقـودا
فالفقـدُ مباح
والمـوتُ مباح
والقتلُ مباح
بالنارِ ، وبالغـارِ ، وباللدْغِ ، وبالبلعِ
الجـرىَ ، الجـــرىَ بطفليها
يتعلق طفـلٌ فى ثدىٍ
والآخـر يعلق بالأخــرى
ويمصُّ بجلـدٍ متورمْ
والقطرة تخرج من ثدىٍ
كخروج الرُّوحِ من الجسدِ
لم تأكل مُـذْ يومٍ كِسرَةْ
لم تشربْ مُـذْ أمسٍ قطـرَةْ
لكــنْ تجـــرى
خـــوفَ الخـــوفِ
وخـــوفَ المجهولِ القـابع بين الصخــرِ
وتحت سماءٍ حمــراءٍ تعــوى
الجـوعُ يمـزِّق معــدتها

يسّاقطُ بالرملِ العــرقُ الملحىُّ
تغـبَّـرَ بالآهــةْ
يومان وليــــلٌ قــد مــرّتْ
والبـردُ تَسَرْبَلَها ليــلا
والشمس تشتته صبحـا
كى تتمدد فى أعظمها فتبخرهـا
ثالثُ يومٍ . . تلمحُ كهفـاً بين الظلمة
لهثت نحــوهْ
انِستَتْ ناساً مرصوصينَ . . نياماً كانوا
وتغطيهم شُبْهَـةُ لُحُفٍ
وجوارهم فى آنيةٍ : ماءٌ بارد
خبزٌ ، جُبْنٌ ، قطعةُ حلوى
طعمُ الماءِ غريبٌ . . لكــنْ . .
لكــنْ . . حلّـوٌ
سقَت الـولَـدَ
ورويتْ منهُ
فرحتْ . . أكلَـتْ . . نامت نوما
شــدَّتْ اغْطيةً وتغطّتْ
وسـطَ الناسِ
وحضنَ النومِ

بعـد زمانٍ ـ لم تدركْـهُ ـ صحت المرأةُ
من نومتهـا
لكـنْ ظـلَّ الناسُ نياما
أكلتْ . . شربتْ
سقت الولْدَ
لكـن ظـلَّ الناسُ نياما . .
رفعت من فوقهـمُ اللُّحُفَ
بَـدَت الجثثُ :
الأمعـاءُ . . القلبُ
مغـبَّرةً فى رملٍ ودماءٍ جَـفٌّ ! !
ذكـرتْ زوجـا
ذكـرتْ طفـلا
بكت الأنثى
نظـرتْ . . تشربُ
كان الماء كلون دماءِ المقتولينَ
الخبـزُ ، الجبنُ تلطَّخَ منهُ
فزعتْ ، داخت
شدت أرجلها . . الولدين ، وفـرَّتْ
سعت المرأةُ طـولَ اليومِ
مقلِّبةً ما بين الهضْبةِ والصخـرةِ

حتى لاحت بُعْدَ العينِ مصفحةٌ
تحمل علَماً . . لا تعرفهُ
كان غريبا
فيه نجـــومٌ . . لكنْ ليس بها من ضوء
أتت الغـربةُ
وبنادقُهـم نحـو خديجة والطفلين
مصوبةٌ
ومهـدِّدَةٌ
متوعـدةٌ ! !
لو تتحرك . . أو تتقدم لمقاومةٍ ! !
مَـنْ ستقـاوم ؟ !
جَـوْفَ العـربةِ
دسُّـوا المـرأةَ
مـدُّوا الأيدى
بصقتْ . . صرختْ
لا يمكنهم سلْبُ المراةِ . . إلاَّ الرُّوحْ
لا يمكنهم . .
شَـدُّوا الشعـرَ . . فليست تَضْعُفُ
قَـرَعَوا الوجه . . فليست تضعف
شمَخَ السنكى

فـوقَ العنـقِ

فلم تتململْ

لم تستسلمْ

فالشرفُ العربىُّ حياةٌ

شدوا الثوبَ عن النهدينِ

فكشفـوا العـورهْ

والصدرُ المستعبدُ . . حُـرٌّ

ظـلَّ يـدقُّ . . يثور النهـدُ

بانفـةِ عزٍّ أولَ يومٍ . . يعرفُ ذُلاًّ

هـذا الخصر الضامرُ فـنٌّ

منتظمٌ . . منسابٌ . . سهـلٌ

أسفلهُ جبلٌ خلفىٌّ

من بللورٍ أملسَ صيغ

يجـرى فيه النهـرُ الأعمقُ من بلوانا

لم يعبره إلاَّ الزوجُ الميِّتُ وحـدَهْ

يا حسرتهُ فى موتتهِ

فهـو الآنَ يموتُ . . يموتُ كالفى موتٍ

متْ شهيداً . . لا تتألمْ

زوجُكَ ليست صيدا سهلا

زوجكَ حصنٌ لم يقهْرهُ يهـوذا أبدا

زوجك بين الأيدى فـرخٌ . .
لكـنْ نارٌ
ما ولِجَتْها شهـوةُ رجلٍ من ثُلّتهم
أبت الأنثى أنْ تتنازل
ليست مثلَ القدسِ ويافا
ليست (طُـوْرا)
بـل معجـزةٌ
بـل قاهـرةٌ أىٌ دناسةْ

ربطوا الأنثى فى السياره
وعَـدَوا جَـرْيا
كانت تجـرى
النارُ بقلب جماعتهم تقتات الشهوهْ
وقفـوا حينا
نصبوا طفـلا فـوقَ الصخـرِ
القتلُ لـهُ
أو قهْرُ الأمِّ وعفّتِهـا
لم تستسلم
ذبحوا الطفـلَ . . فما ندّى عينيهـا دمْـعٌ
فالموتُ حياةٌ . .
ونعيمُ العيشِ مع الأشرار هـو الوأدُ

حملوا الثانى
صعدوا أعلى جبلٍ نافرْ
وبصحبتهم كانت تمضى
لا تبدو بالعين مأسٍ
لايُخجلها ذُلُّ العُرْىِ
هـل منهم إنسانٌ يُخْجِل ؟ ! ..
ربطوا الطفـل بحضن الصخرهُ
وعلى حـرفٍ من قمته
ـ قالوا : مـوتٌ
ـ قالت : حُـوْرٌ
ـ قالوا : أم لا تتورع . .
ـ قالت : أنثى ذاقت قبلاً طعمَ الموتِ . . فهل ترهبهُ ؟ !
مات الزوجُ ، ومات الطفـل
وضاعَ الكوخُ مع الخيمةْ
فلمن أبقى ؟ ! !
قذفـوا الطفـلَ . .
وحملوا المرأةَ فى عربتهـم
كيمـا تبـدأ عُمْـرَ الغـربةْ

* * *

[الطـير . . يهاجـر]

مازالت سيناء تئنُّ
وتعـدُّ القتلى والجرحى
لا تحصيهم عـداً أبداً
فى اليوم الخامس من يونيو
كانت نكسةْ
ليست حـربا
بين المدفع والمدفـعْ
بين الطلقةِ والطلقـةْ
بين الجندىِّ المتدثِّر بالمجد العربىِّ التالدِ
وابنِ يهـوذا العبرىِّ المرتزق التائه
زمنُ التيهِ يعشِّشُ فيهم . . لايبرحهم :
قَتْلَةُ يثرب
وقعـةُ خيبر

جِـذْر الإثم تفرع فيهم منذ النشأةِ
لضلالتهم
لعبادتهم عِجْـلاً ذهبا
ظالـوا القتلى ، المقتولين من الأيامْ

* * *

فى سيناءَ . . الأرضِ البكـرِ
أول يومٍ فى التاريخِ لهـم كلمةْ
أول يومٍ فى التاريخ لهم رايةْ
أول يومٍ يملك صهيونىٌ سلاحا ،
وعتاداً ، وجنودا جُلْفَاً
يتحكم فى عنق سواهُ
ياللقُسوة ! !
كانوا أشرسَ من فئرانٍ
ليس بأرض الغابة وَحْشٌ كى يُرْهِبَهـا
كانوا أغلظَ من خصيانٍ
ماتَ السيدُ كى يتركهم مِلْكَ امرأةٍ
فأذلُّوها
كان يهـودُ القـرنِ الحاضر فى سيناءَ
ـ مثل يهود جميعِ الماضى ـ دونَ مبادىء
فترى القتلى ، وبلا رأسٍ ، وبلا قـدمٍ

مرصوصين صفوفا طولى . . لمصفحةٍ : تعبر ، تعصر
وترى «موشى» يُفْرغ ناراً فوق الجثهْ ! !
«يورى» يصفعُ وجه الراحلِ
يبصق فوقه ! !
«بيجن» يلعنُ شخصاً مات !
لا يتكلم ، بل لايسمع ! !
نام الأسْدُ فلعب الفأرُ ! !

هذى الخيمةُ جنب الخيمةِ تسقط . . تهوى
وَكْرُ الطيرِ احترقَ . . تبخر
لا صدحَ يبوحُ ولا نغمٌ
والطيرُ يعود زرافاتٍ
نحو القاهرةِ . . يعانقها
وشطوطُ النيلِ تعانقه
ويمرُّ الطيرُ على الثكلى
ويكفكف دمعاتِ الموتِ
ويُحَيِّى ذكرى من مات
قد كان حنونا ، ذا أمل
ويعول الشيخَ مع الأمِّ
ويناغى الطفلَ ويرعاه
ويمر الطير على العذرا

ودموع العين تشاركها مَلْءَ الجرّة
من تُرعتهـا
كانت تبكى حُبا دفن بأرض الطـورِ
ولـيس يعود
كان حبيبا منذ الصغـرِ
واقْسم أولَ ما يفعله
حين يعـود إلى قريته
أنْ يحضنهــا
يحكى كيف يعيش هواهـا فى غربتهِ
يجلس معها تحت النخله

* * *

ويمر الطيرُ على المرعى ، وعلى الحقـل
وعلى البستان ، على المصنعْ . . ليذكِّرهـا
أن الراعىَ لن يطرقَهـا بعـدَ اليومِ
ولن يتململَ فى مرقـدهِ
لـن يتحـركَ
إلاَّ بعـد الثأرِ الجامع من أعـدائـهْ
ويمـر الطير على (ناصرْ) : يبكى أرضـهْ
أنْ ينهـزمَ الحبُّ العربىْ
أن ينتصرَ البغضُ العبرىْ

قال ـ ودمعٌ يلسع شفةً تخشى الله :
إنَّ الأمةَ أمنيةٌ
ومصيرٌ يعلق فى عنقى
اخْلوتُ بهـا ؟ ؟
انَقَضْتُ العهـدَ وميثاقاً من طنجـةَ حتى البحرين .
أخَذَلتُ الأمة ؟ ؟ !
. . لـم أفعـل . .
ما كان الأمرُ سوى مكـرٍ
قَطْـعُ الشريانِ هـو الهـدفُ
قطعُ الشريانِ . . فلا يجـرى دَمُهـا فينا
الضربة حقـاً مؤلمةٌ . . فـوق الرأس ،
وأنا المسئولُ المتصـدِّى ،
وقـوام الأمرِ يقلِّصهُ أقـوامٌ ليسوا ذوى مبدأ
وأنا المسئول المتصـدى ،
ولهيبُ الخدعـةِ يتطايرْ
فى كلِّ مكانٍ من حـولى
وأنا المسئول المتصدى
لابُـدَّ . . سأرحـلُ
لابـدَّ . .
ويمـرُّ الطيرُ على النائمِ

كى يوقظـهُ
ويمــرُّ الطيرُ على العاملْ
وعلى الفـلاح ، على الحِـرَفَىِّ
على النُّسْوانِ ، على الفتيةْ
وينبه كلَّ ذوى أمـلٍ .
(أنْ عبدَ الناصرِ فى خطـرٍ
وجميعَ الأمةِ فى خطـرٍ
وستخسرهُ
الرجلُ القابع فى بيتهْ
يتلظى هَمّاً وهُياما
وعـدوُّ الأمةِ يمقتـهُ
ويعـوِّلُ أنْ يخلعَ جـذرَهْ
فهـو الفرعونُ
هـو عمـرُ
وهو التاريخُ بدفتركم
وهو الإشراقـةُ فى غـدِكم
وهــو المــأوى
لو مات الرجـلُ من الهَـمِّ
فلمن أنتم ؟ ! !



ويهبُّ الشـــعبُ مـــلايينْ	هــادرةً جــارفــة . . تمضى
يـفــديكَ الـقـلـبُ مـع الـعـينْ	ياناصـــرُ ، وسنرجع أرضى
ونـــردُّ مكيـــدْ الملعـــون	ديـــانٍ . . عنه لـــن نُغْضِى
فلتـــعـــبُرْ نحـو فلسطينْ	ووراءَكَ بـالـــدَّم بـالـنـبـضِ
سنمـــدُّ المجـدَ لحطينْ	وسنمـحـو آثـار البـغض

يتطلَّع ناصـرُ للشعـــب
رافعـــاً الـــرأسَ محلِّقــةً
يا شعبى لـن نُهـْزَم أبـدا
بـل شعب يهوذا نمحقـــهُ
ما دام القلـــبُ به نبـــضٌ
ما دام العقل بـــه فكـــرُ
ما دام الساعـدُ مشدودا
سنرد الأرضَ . . نحـررهـا
واقـود العُــرْبَ . . إلى القـدسِ

* * *

خريطة .. جولدا

جولدا ترفـع فى مكتبها
بضع خـرائطَ ترسم فيهـا
حُـلْـمَ يهــودٍ فى القاهــرةِ
وفى بغــداد
فى يثـربَ أرضِ الهَـدْيِ ، وأرض المسجـدِ
أرضِ السلْمِ ، وسِـرِّ الطهــرِ
: هـــــذى خطـــوه
بيتُ المقـدسِ أولُ خطــوه
حررناهُ . . وكان يتيماً منذ خرجنا
هــذى الأرضُ يهــوداً كانت
كـل ترابِ الأرض يهــود
كل نسيم الجــو يهــود
كـل مياهِ البحــــر يهود

يا مِلَّتَـنـا لا للمسلم فى بقعتنا
لا للقبطـــى
إنَّ الأرض لآلِ يهــوذا
خير خلــق
وسادتهم
أحبابُ الله وأبناؤه
وجميعُ الخلقِ لنا مِلْــكٌ
نستعبدهـــم
ليس حـراما أن نقتلهم
طفـلا . . نسوةْ
وجـــهُ الحُرمــةِ فى إخـوتنا
أما غير يهــودٍ . . أبـداً لن نرحمهــم
فاخلـــعْ كـلَّ نباتِ الأرض
واهـــدم كـلَّ بنـاءِ الناس
واقتـلْ كـلَّ بنى عــدنان
حتى نرفـع صرحَ يهـوذا
ارضُ النيل متاعٌ خـالصْ
لاتَدَعُوهـا
حـــربا . . خـدعةْ
نستخلصهـــــا

هـذى خطـوهْ
بيتُ المقـدسِ أقصـرُ خُطْـوهْ
يـا شاءولُ
ويـا باروخ
ألا تسمعنى ؟ !
بثُّوا الفرقـةَ بين الناسِ
بتخابركم . . وبخبرتكم
بين الأختِ وبين أخيهـا
بين الأم وبين الخـالِ وبين العم
نصفُ النصر . بأنْ نلهيهم فى أنفسهم
لو نخذلهم لـن يجتمعـوا
لو يجتمع محيطُ الأطلس فى مجـراه
فهـل تمنعـهُ سدودُ العـالمْ ؟ !
أنتم قِـلَّـه
وَهُــمو كثْرَهْ
دُسُّوا الأنفَ بكلِّ صغيرةْ
وسطَ المسجـدِ والمدرسـةِ
فـى خلْوتهـم
وسطَ الزوجِ مع زوجتهِ
بين المـرءِ وبين فـؤادهْ

فلتنتشروا فى أنفسهـم
من واشنطن . . سوف نُـدَعَّمْ
فهـى أخـونا الأكبرُ سناً
وهـى الساعـدُ . . لـو يهتزُّ الساعـدُ منا
نحـن المِخْلَبُ . . إذْ تغرسنْا
نحــن الضربةُ . . إذْ تطلقنا
ما دمنا نحتاج إليهـا . . لن نتركهـــا
عبدُ الناصـرِ . . يؤخَـذُ غيْلَـهْ
لكـنْ دون الريبةِ فينـا
لو نلناهُ فلـن يتململ جسمٌ عـربىْ

* * *

ظلّتْ جـولدا ـ شيطا نهمو ـ
عـودَ ثقـابٍ يُشعـل غدراً فى أنفسهم
ملأوا أرضَ الضفـة ذعــــرا . . .
بين العُــرْبِ ـ وحـوشٌ صبئتْ
مَـن يقنصهـا ؟ !
كـلَّ ثـوانىَ يُخْطَفُ طفلٌ
كل دقائقَ يُقْتَلُ شيخٌ
يُـذْبَح كهـــلٌ
تُهـدرُ حُـرمةُ أىِّ امـرأةٍ



اليوم العاشر

وجميعُ سجونهمُ امتلأتْ

لكــنْ لم ييأس عــربى

فى العُـرْىِ . . يفيضُ الإخصاب

فى البــردِ . . يفيض الإخصاب

فى الحَــرِّ . . يفيض الإخصاب

هــذى حــربٌ للضعفاء أمامَ القــوهْ

كـلُّ امرأةٍ تحملُ ذكـراً . . بل واثنين

وتنجبُ . . تنجبْ

ماء النارِ على الوجــهِ العــربىِّ حــريق

لكــنْ يُنْجِب

بَثُّوا حَبّاً فى أرغفــةِ الخبـزِ . . المـاءِ

فلم تنفعهــــم

ويُصرُّ العــربىُّ . . ويُنجب ! !

سَجَنوا . . قَتَلوا

وإذا اجتمع الأهــلُ دقائقَ

كانت ذكـــرا . ! !

* * *

[السـر . .]

فى بطـنِ أسيرتهم سِــرٌ
تحفظـهُ مـذْ بضعـة أشهــرْ
تغمرهُ فى نبضِ الـروُحِ
المترددِّ بين الجنبين
إنَّ خـديجةَ تسقى السـرَّ النائمَ فيهـا
صفـوَ الغـدْ
تتمطَّى بين القضبانْ
تتشمَّم أخبارَ الصمتِ
تتلهَّى بالسر الساكنِ
تتبسـَّمُ
تتذوق طَعْمَاً للفجـرِ المتخفِّى بين الجنبين
يترددُّ بين الآهـات
إنَّ هناكَ . . بعيداً جداً مِن أسوارِ

تعصُر كلَّ شبابِ خديجـةَ وأنوثتها
يصطفُّ الليلُ مع الليل
وطعــامُ خديجـةَ أمنيةٌ
وشرابُ خديجــةَ ذكراهــا
حبسوكِ . . فأنتِ العملاق
يا سِرّاً داخلهُ سر
لو كان الإفطـارُ ببصقهْ
فــوق الوجنـهْ
ليس يهـم . .
لو كان غَــداؤكِ باللطمهْ
أوشدِّ الشعـــرِ
فليس يُهِـــم
وعشاؤكِ سخريةٌ سكـرى
النومُ : وقوفــاً وقعـــودا
لا نومَ ولا صحــوَ يكـونُ
. . فليس يهــــم
بل ليس مهماً أنْ يرحـلَ
عن روحك جسدُكْ
ما دام السرُّ بأعماقكِ
يتراقصُ . . يلهــو . . يتمـدَّد



لكنك . . تحيينَ الآنْ
تحيينْ الآنَ حياتين

والشوقُ إلى النجمـاتِ ضَحِكْ
يندمج الليلُ مع الليل
وفـؤادكِ يتعملقُ فيكِ
وعيونكِ . . تخترق الغيب
من بُعْـدٍ يقتربُ الطيرْ
ويرفـرفُ فى ثوبٍ أبيض
من سينا يقترب الطـــيـ . . .
الطـــيـ . . .
الطـــيـ . . .
. . . ومخـاضُ خديجـةَ يتفجـــرْ !!!

* * *

[نســور العــرب]

من قبضةِ ريحٍ مــرَّتْ بين بنانِ النيل الاسمرِ
باركَها النخلُ المتعبِّدُ فـوق التُّرعة
والحُلمُ الكامنُ والصامتُ فى رَحِـمِ الأمــه
من حُفنة طينٍ يقبضهـا الأمسُ المتَورِّمُ
دهـــــراً بمخاضِ الرغبــه
يبسطها الشيخُ المتجشِّم عمرا
لم يعــرف أولَــــــهُ
وعجـوز مَـرَّ عليها الدهــرُ ونَسِـىَ حَصاهـا
من بقعـة ليلٍ وصباحٍ . . كان الحفناوى *
رائــدُ طيارٍ
طفــلاً . . يقــرعُ سمعَــهُ
ولـولـةُ الثكـلى

(١) الرائد طيار / محمد ضياء الدين يحيى الحفناوى .

يقـرع عينيـه الجُـرحُ الممتدُّ من الخرطوم إلى مكـة
تشتطُّ طفـولتَـهُ ناراً حين يُقـالُ :

«ذراعٌ طـولى»

فبأيِّ الأمتارِ تُقـاس ؟ !

وبأيِّ الأحكـام الطـولى ؟ !

أذراعٌ طـولى ؟ !

نقطعهـا . . ! !

شبلا . . شبَّ

غراماً بالطيرِ وبالقنصِ

وتسامـقَ جسمُ الحفناوى

وَسَمَـا

جَبَـلاً فـوق الأرضِ يـدبُّ

وعقـلاً أكبرَ من محنتنا

وعواطفَ نهـــرٍ لا تنضبْ

أضحـى رجـلاً بالكُلِّيَـةِ الجـوية .

شرفتْ بـهْ

واعتـزَّ بهـا

خطـوتُـهُ فى التدريب . .

عبـورْ . .

لا حَـدَّ لهـا إلاَّ الحـــق

كان أزيـز «الميجِ» هـــواءً
ودمـاءُ ضياءٍ فى صـــدرهْ
والرمشُ خريطــةُ سيناءَ المقبوضــةِ قهــراً
قبضــةُ يــدِهِ قُبـةُ صخـــرةِ بيتِ المقــدس
ياصقــــر الكلية
ما أرقـــاكَ وأنتَ تحلِّــقُ وحــدكَ
وحدَكَ بعـــدَ شهـــورٍ من تدريبك
تملأ جــوَّ الكليةِ عطــرا
من نفثاتِ البنزين بطائرتك
كَسَّرتَ قياسَ الأرقـامِ
وسجلتَ الرقــمَ المستسلمَ لطموحِكِ وحــدك
يا بــنَ ضياء الدين الحفناوىْ
لــو شافت أمُّكَ تحليقَــكَ
فــوق رءوسِ القاهـــرةِ الحُبلـى
وتَفَــوْقُ زميلَكَ «أشرفْ»
لانطلقتْ زغــرودةُ فيهــا
من شبرا حتى السلوم ويافــا
والقـدسِ الشرقيةِ والغـربيةِ
تخنق عُنْــقَ الصهيونِ الأكبر
لو نظـر عيالُ الحـارة نحــوَ الجــوِّ

وأنتَ تطيرُ بطائرةِ التدريبِ
لقالوا لكْ : يا بن العفـريتِ
لأنتَ الأعلـى
اقـذفْ عـدةَ نجمـاتٍ من فـوقٍ .
نتسلى . . نلهـو
نقتلُ هـذا الوقتَ المشحـونَ سكونا
لا يَقْلـقْ
لقـالوا لكْ :
يا عـزيزْ . . يا عـزيزْ
ضـربهْ تاخـد الانجليز
إلهـى الكـونْ . . إلهـى الكـونْ
ضربه تاخد آل صهيـونْ
أهـل المكـر . . وأهـل الخدعـه
أهـل الفشر . . وأهـل البدعـه
أخبث خلق الله ع الأرض
باعـوا الـدِّيـنْ . والوادْ ، والعـرض
علشان قـرش . . تلاته قـروشْ
بيت صهيون . . تلاقيه مغشوشْ
اجـــرى وحلــق
حلِّـقْ حُـوْشْ

حـــوشْ

حـــوش

حـــوش

حـــوش .. ! !

* * *

«يا يحيى خـذ الميج بقـــوه ،،

واجعــل فــوق سماء الأرض سريركَ

والأسرار

اركبْ «ميـج» وحلِّـقْ

فــوق غبار الصمت . . ومزقــهْ

واهــزمْـهُ شَـرَّ هــزيمهْ

يا يحيى

كـن بطـلاً بين التشكيلات «الميجية»

وتـزوَّج صبـرَكَ والقـــوهُ

كـى تنجـبَ نصرا

* * *

حـول خريطـةِ سيناء الكبرى

التفَّ الشبانُ الطيارون السباحـونَ

مع النجمـاتِ ، مع الأمـل

أيـامٌ أربعـةٌ مـرَّتْ

والحالــةُ (قصــوى) لا تهــدأُ

فمتى نبـدأ ؟ ؟

ومتى نَبْـرُقُ فى الأجــواء السكْـرى حـُـزنا

ومتى نرسل نحــوَ غبارِ الرمـلِ بسينا

ألفَ تحيــهْ

من نيرانِ قنابلنا

نغسل بالنارِ العــارَ

نذيب الــذلَّ العــالقَ فى حباتِ الرمـلِ

ونُمْطــر عــزًا

أيــامٌ أربــعْ

وجميعُ الطيرانِ طــوارىء

ودرسنا الخطــةَ بتأنٍ :

من أيـن سنطلق زلــزالا

ومتى سنفجـر بركانا

للمرةِ كَـمْ ، لسنا ندرى .

زُوِّدْنــا الخطــةَ تلقينا

وتجــاربَ ، وتجــاربَ أخــرى

وطــوارىء عــدةُ مــرات

أتكــونُ المــرةُ طــارئــةً

يخمدهــا صمت يتلوهــا ؟ ! !

فمتى تنفجر حرائقنا
ومتى تنطلقُ مصائرنا
ومتى نعبر نحو الطور
ونبى فوق سماها السور
ونصطادُ عناكبَ صُهيونَ
متى . . ومتى . . ومتى . ! !

* * *

حول خريطة سينا الكبرى
قائدُ سربِ (محمدْ) يشرح
ما كان تَكَرَّرَ مرات :
من أين سندخلُ سيناء
وبأى الطيرانِ سنعبرْ
وبأى الأهدافِ سنبدأ
كم زمنُ التصويبِ الأمثلْ
والعودةُ من أين تكونْ
قواتُ الجيشِ بِعُدَّتِها
فى البحر وفى الجوِّ تمورْ
والجيش الثانى والثالث
ينتظر الخُطَةَ . . يترقبْ
البحرُ الأحمرُ محشود

بالسفْن العملاقــة حشدا
فالمــاء سفــائنُ حَــربيه
البحـر الأحمـرُ هضْباتٌ
تتحـــركُ
تَمْخُـرُ
تتطلـعْ
. . تنتظـرُ اللحظـه
فى عمـقِ المـاء زوارقُنا
تتقــافـزُ
تزهـــو
تتبـخـتر
تتشـوقُ
تأمـــلُ
تتوعُـــد
. . تنتظــر اللحظـهْ
البحـــرُ المتوسطُ طُـوْدٌ
من نـارٍ ودمــارٍ لهمـو
ما بين البرهـــة والبرهـــهْ
يـــزأرُ . . يتوعُـدْ
ينتظـرُ فريستَـهُ السكـرى
يا طولَ الصمتِ ويا صـبرَهْ

* * *

في غمضـةِ عينٍ سيحطِّـمُ
كـلُّ الأزمنـةِ المغـروره
لكــنْ سفـائننا العظمى
. . ما زالت تنتظـر اللحظــه
لكــنَّ الساعـةَ آتيـةٌ
لا ريبَ ستأتى صاعقــةٌ
قــد قـال (الساداتُ) وأكَّـدْ
والفــردُ الحاكمُ لا يكـذبْ
يا كُـلَّ صقـــور عـروبتنا
اليوم المقبل سترونَ
أقطــارَ الأرضِ بقبضتكم
واللعنـةُ حلَّتْ بيهــوذا
في نَفَسٍ قـال الشبان :
اليـومَ . اليـومَ وليس غـدا
اليـومَ . اليـومَ وليس غـدا
اليـومَ . اليـومَ وليس غـدا ! ! !

* * *

بمساء الجمعـةِ
في التاسع من رمضان الأعظــم
كان جميع نسور القُطْــرِ

بإحــدى القاعــات الكبرى
بمطارهمو . . ينتظــرون
قــــراراً ما . .
إمَّــا حــربٌ ، أَوْ لا حـــرب
أشرفْ يجلس عن ميمنةٍ من يحيى
وحسينٌ ـ قائد تشكيلهمو ـ يجلس عن ميسرةٍ . . ينتظــرُ . .
فى أقصى يسارهمو (عــادل)
أصـغرهــم سنا
فى عينيه شــرارٌ نافــرْ
فى جنبيه يمـــوج الخاطــر
فى شفتيه سؤال حــائرْ :
ـ أتُــرى يُعْلَــنُ هــذا اليومَ
بألاَّ حــــــربَ
وأنَّ الأيامَ الخمسةَ فى التدريبِ
وفــى الخُطَّـــة.. ما كانت غير مناورة ؟ !
يا خيبتنا لــو نتراجــعُ عن فــورتنا
ونعــود لنغــرق فى الصمتِ
ونُمَـــزَّق من شوق النفس . .
يا أشرفُ . . هــل ترضى هــذا يا أشرفْ !
ـ ما يُرضينى غيرُ الفــانتوم . . أُسْقِطُهــا

وأُقَـــدِّمهـــا لحبيبة قلبــى . . ألْعوبـةْ
قـــد كنتُ وعـــدتُ . . فهـــل أخلفْ ؟ !
لـــن تقبل إهـــداءً منى
لـــن تقبل بسماتِ الوجـــدِ
لـــن تقبلنى
لـــو عـــدتُ بغير هـــديتهـــا
فـانتوم صهيـونَ أقـدِّمُهـــا . .
أوَ ليس كذلك يا يحيى ؟ !
قـــلْ وتكلَّـم
فالغيظُ يمـــزِّقُ أضلاعكْ
لـــو مُتَّ من الغيظِ حبيبى
فبمن سنقـــاتلُ يا يحيى ؟ ! !
- يا أشرف
مـــا زالت بسمتُكَ تُرَاقِص
أوتارَ القلبِ المشدودهْ
فى أخْطـــر لحظـــةْ
ما زلتَ سخياً بالنكتهْ
لكنى أنتظـــرُ . . وأرنـــو
فهناك . . هناك حبيبتنا
من تحت النابِ تَبُصُّ . . تئنُّ

عَـرُّوهـا من ثـوبِ البسمـةْ
غَطُّوهـا فى بئرِ الحــزن
فمتى تتبسَّمُ سيناءُ
ومتى تضحكُ يافا الحـرةُوالفيـومْ
وتضم المنصـورةُ غــزهْ
تُرْضِعهـا ذكـرى الأمجـاد
فمتى نقتص لعــزتنا
ومتى نعبــر ؟ ؟ !
قُــل لـى . . أحُسينُ
متى نعبرْ ؟ !
ــ يا يحيى . . هَـدِّئ من رَوعِكْ
فالنصـر حليفُ مَنْ صبـروا
وأعــدُّوا العُـدةَ . . أو أكثر
ما شوقـى بأقــلُّ حـريقا
فلقــد جَـرَّبتُ خيانتهم
قـد كنتُ ملازمَ طيــارٍ
حين النكسةْ
ورأيتُ الغـدرَ بمنقــارٍ
من نــارٍ . . شَبَّتْ تَضْرِمنا
وتحـرِّق أذرعَ قــوتنا

فى غفـوةِ لحظـهْ
فـى خَفْقَـهْ
قـد كانت بالأرضِ تنـام
لـم تأخـذْ من غـدرٍ حـذرا
واليومُ الفاصلُ مكتوبٌ
منقـوش فـوقَ خواطـرنا
لكـنْ للأمـرِ تَـدَبُّرُهُ
وظـروفُ الحُكْمِ تحـدِّدُهُ
فالحـربُ سياساتٌ كبرى
والقـادةُ وحـدَهُمـو أدرى
باللحظـةِ والوقتِ الأنْسَبْ

* * *

ويـرفـرفُ للصمتِ جنـاحٌ
وضبابُ الحـذرِ على القاعـهْ
وتبحلقُ كـلُّ الأجفـان
وتطير قلوبٌ ضـاريةٌ
دائـرةَ الشوقِ على القائـدْ
وزعيمِ لـواءُ الطيـرانْ
وانبثقت آهـاتُ اللهفـهْ
فالقـائـدُ لـم يدخـلْ وحـدَهْ

بـــل حَثَّ الخطـــوَ بجـانبِـهِ
قــائـدُ قـــواتِ الجــوية
(حسنى) جـــاءَ
هـــــو حسنى
قائد قــوتنا الجـويــة
مَـدَّ الخطـــــوَ
ورفـــع الرأسَ
كأنَّ سيوفَ الإسكندرِ
وابــنِ الخطــابِ ، وبيبرسِ شُهِـرتْ
تنتظــرُ الوحـــىَ على فمـــــه
كــى تنفخ فى رُوحِ الحـــقِّ المتغبِّرِ
منفــوشِ الشعـــرِ وأشعثِـهِ
وتــدقُّ سراديبَ الباطـلِ منفــوخِ الأوداجِ ،
الـزائفِ
زاح (مباركُ) هـــمَّ الصمتِ
بأول حـــرفٍ
قــال (محمـدْ) :
(يا أنجبَ مـنْ ولــدتْ مصــرُ
يا غصـــناً مـــن حقـلِ نَـداهـــا
يا نبـضَ قلـــــوبِ عـــروبتنا

يا فجـــراً نسجتْ أمتُنا

قــد كنتُ أتابعُ صولتكم

فى ساحِ التدريب اليومى

نبضـاً . . نبضـا

حَبْوَاً . حَبْوا

خَطْـواً . . خَطْـوَا

عَـدْ وَاً . . عَـدْوا

ثم نسوراً لا يثنيهـا أبـداً هــولْ

يـا أبنـائى

قــد أعـددتم للمعـركةِ

فكنتم خيـراً فى أمتكم

هـولاً يلتهـم الأعــداء

. . تتقـافـز أسئلةٌ حيـرى

فتصـوغ الجـوُّ استفهامـا

ويصير البحـرُ استفهامـا

والرمل علاماتٌ كبرى لاستفهـام

(فمتى نعبــرْ ! !)

وأزفُّ لكـــم

البِشْرُ لكـــم

قــد صـدرَ الأمــرُ بـأنَّ غـداً

العاشر من رمضانَ غـداً
فى الساعـة ألفٍ وأربعمائـةٍ
تُطْـلَقُ أولُ طلقـةِ حـرب)
وانفلت هـديرُ التصفيق
وهتافُ القاعـة زلـزالٌ :
قـد عاشت مصـرُ إلى الأبـدِ
تُفْـــدَى بالمـــالِ وبالولـــدِ
وجنودُ الحـق بلا عـــددِ
ستطهـر أرضكَ يا بلـدى
إنّـا آتـون فلسطينا
عَبَـرَ الجـولانِ ملبينا
فسماء العُـــرْبِ بأيدينا
وسنجعـل من نصـركِ دينا
* * *
وانتظـر القـائـدُ صمتهمو
حتى انسابَ هـدوءُ الخاطـرِ
فـى افئدةٍ صـارت غِبْطَـةْ
قـال القائـد :
خُطَّـةُ قـواتِ الطيـران . .
فـى أسرابٍ تكتسحـون

للقــذفِ . . ستنطلق ثلاثـةْ :
فى الثانية وخمسِ دقـائـقَ
سربٌ يَمْـرُقَ فــوق الأرضِ
بخمسة مائةٍ من أمتار
من بور سعيدٍ متجهـاً للشرقِ
على سطح البحــرِ
فى عشرةِ أمتارٍ عُلْوَاً
كـى لا يُكْشَفَ للإنـذار
ويطير لعشرين دقيقهْ
يَقْصِـدُ ضــربَ مطـارٍ (عـريش)
ويحلِّـق أعلاه تمـامـا
فى الثانيةِ مع العشرينَ وخمسِ دقـائـق
والسرب الثانـى ينطلقُ
نحــو مطـار (المليز)
فى الثانية وربـعِ الساعـهْ
نحـو الشرق مباشرةً
فـى علـو الخمسين المتـرا
ويحلِّـق فــوق المليز
فى موعـد ذا السرب الأول
فتكـون مفـاجأة كبـرى

أسرابُ الطيـرانِ المصرى
فـوق الأهـدافِ المرجـوَّة
فى نفس البرهـة تقـذفهـا
والسربُ الثالثُ . . أبنـائـى
سيكون السربَ المعتَرِضـا
ويقسَّم قسمين اثنين :
القسم الأول سيصاحِب
طيرانَ القـذف ليحميَهُ وقت التنفيذ
ويجـوب سماءْ المعـركـةِ
ليسيطـرَ فـى الجـوِّ بسينا
وسيُقْلِع مـن فـوق الأرضِ
مـن بعـد الثانيةِ وربـعٍ
بمسار الطيرانِ القـاذف
مـن فـوق المنطقـةِ الهـدفِ
يرتفـع إلى أعلى فجـأة
وسيملك عنـقَ السيطـرةِ
والقسمُ الثانى سيكلَّفُ بحمايـة جـوِّ أراضينا
وحمايةِ قـــواتٍ تعبر للضفـــة مقصِدُهـــا سينا
وحمايةِ طيرانِ العــودهْ
يتولـى سربُ الحفناوى

تنفيذ مهمتِنا هـــــذى

* * *

وانكمشتْ بهجـــةُ حفناوى
ويغـوص الأنفُ إلى الخـــدين :
لـــن أسبحَ فـــوق رمـالِ الطـور
لـــن أبـذرَ فيهـــا حُلْـمَ النور
وأنمِّيه ثمـــارَ حيـــاه
وأباريـقَ تشعُّ الـروحَ بفجـــرِ الغـد
يـا لَلحسرة ! !
لا . . لـن أُصبِـحَ أولَ نسرٍ مـن قـوتنا
يقنـــص بومـــهْ
مـن قـــوتِهـم
أغـداً يأتى لستُ الأولَ فـوق سماءِ بلادى سينا ! ؟
لكـــــنْ . . أبـداً
هـــل أتحسَّـرُ وأنـا درعُ سمـاء الـوادى
وأنا الرحمـةُ فـــوق النيل
وأنا الظِّلّـةُ للأطفـال
وأنا الغيمـةُ فـوق الحقـــل ، وأعلـى الـزارعِ
وهـــو يجـــرُّ خِـــرَافَ العيـــد
يضـــرب فأسا . . ينزع فأسا ،

حين يُقَبِّلُ عودَ القمحِ بمنجلِ حُبٍّ ؟ !
هل أتحسَّرُ
وأنا السُّحْب تجوبُ الشرقَ
تجوبُ الغربَ
وتحمى النملةَ فوقَ ترابِ الوادى الأسمر
وهَجَ النارِ
وَحَرُّ اللفْحِ
تَسُحُ
تَفيْضُ بكل زوايا الأرضِ النشوى
ألفَ أمانٍ
لا تقهره أيةُ خدعة ؟ !
ففدأحربٌ فوق سمائك أمى سينا
ثم يفيضُ السيلُ الزاحفُ مِن قُوَّتِنا
يمسحْ . . يكسحُ
كلُّ رذائلِ آل يهوذا
كالجرذانِ سينصعقون
وسوف يفيض السيلُ ويطغى
فوقك غزةُ
والجولان . . وبيتِ المقدس
يَبْسُمُ يحيى حين تنبَّهَ أنَّ القائدَ

راحَ يقــــول :

يــا أبنــائى
إنَّ عليكـم ألاَّ تَبْقُـوا فـوق الهـــدفِ
أكثرَ منهــا : عشرُ دقـائـقَ
حتى يبقـى فى حـوزتكم بعضُ وَقُـــودٍ
يكفـى العــوده
أو ما يطـرأ كمفاجـأةٍ
. . فى عـودتكم ترتفعــونَ لتسعـةِ كيلو
كى لاينفـــدَ غيرُ وقــودٍ ليس كثيرا
. . يا أبنائى . . . . أىُّ سؤالٍ حــول الخطـةْ؟ ؟

ينهضُ يحيى :

إنـى أسألُ عن توقيت الخُـطَّــةِ هــذا
لِـمَ لَـمْ يـأتِ صباحـاً مثلا ؟ !
ولِـمَ يأتى بعــدَ الظهـــرِ . . وفى الثانيةِ ؟ !

قــال القـائـد :

سُؤْلٌ حَسَنٌ
إنَّ التوقيتَ التقليدىْ
فى تنفيذِ مهمـةِ حـربٍ
أولُ ضــوءٍ
آخـرُ ضـوءٍ

وهمو عرفوا أنّا نعمل لمناورةٍ
ومن الممكنِ – فى نظرهمو – أنْ نضربَهُم
ولذا وضعوا بعضَ الحيطة
أولَ ضوءٍ ينتظرون
وآخر ضوءٍ ينتظرون
فكان الموعدُ فى الثانيةِ
فهمو يئسوا من غارتنا وقتَ الصبحِ
ولم يتمكّن قوادُهمو أنْ يحتاطوا قبلَ المغرب
وبإمكانِ النسر المصرىْ
أنْ يضربَهم أولَ ضربه
ومن الممكن أنْ تتكررَ قبلَ سدولِ الليلِ القادمْ
ورادارُ الأعداءِ معطّل
ما جدواه بوقت الظهر
والرؤيةُ تضحى بالعين
والشمس تَعَامَدُ فى الأفْقِ
فتعوِّقهم عن رؤيتكم ؟ !
وإذا سمعوا الصوتَ الهادرَ
لن يتمكّن أىُ منهم أنْ يردَعَكُم
أنتم لستم فى مرماه

يا أبنائى . . . .



قــــد أحكمناحَبْكَ الخطـــة
ليستْ فيهـــا شبهـــةُ ثُغْـــرهْ
فلترتاحـــوا هــذى الليلةَ فــى نومكمـــو
فغـــداً أمـــرٌ
أعظـــم أمـــر

* * *



[الحيـــة والنســـر]

فــى غفــوتـهِ
فـــوق سريره
شاهـــدَ يحيى ألفَ بعـوضــةْ
تبدو سودا
كـلُّ منها لايحملها غيرُ جناحٍ
وإذا اجتمعتْ فـــى زاويـــةٍ
بضـــعَ دقـــائـــقَ
يخـــرجُ دبُّـــورٌ أو نحلــةْ
ويطــاردهـــا
ويشتتهــا فى الأركـــانِ
وفـــوق المـــاءِ الراكـــدِ دهـــرا
عند نفـــايات مُنتنَةٍ
يــأوى بعضٌ بعـــوضٍ منهـــا

فـوقَ الأشلاءِ المنثورةِ
إثْـرَ الحـــربِ
يأوى بعضٌ آخــرُ منهــا
وَسْطَ معــابــدَ كالسردابِ الغارقِ يأسا
يــأوى بعضٌ بعــوضٍ منهــا
تجتمع الثُلاثُ جميعــاً
فتمزقها بعـدَ ثـوانٍ أيـةُ نحلـةْ
هــذى المــرةْ
حُشدَ بعــوضُ العــالــمِ كلّـهْ
ولَــهُ أنّـاتٌ وعــويل
(ولـه شَنّةٌ . . ولَـه رَنّـهْ)
ظَـلَّ يرفــرفُ تحتَ الأرجُـــل
يتوسّـلُ
يتـودّدُ
يبكـى
يخــدمُ دهــراً أيـةَ نحلـةْ
يستعطف كـلَّ الملكـاتْ
حتى انسجمَ الشملُ الضائعُ منذَ قــرونٍ
وسطَ التيـه
كل بعـوض العالم شدَّ رحيل الغـزو . . تجـاه الخُضَـرهْ

تـرك المنتن ، والمتعفـن ، والمستنقـع
ثـم تجمَّـعَ فى بستانٍ . . ما أبهـاهُ وما أشقـاه ! !
يرتـعُ ، يفسدُ كـلَّ الثمـرِ
وعبًّا البطـنَ ، وَشَحَـنَ الفـــم
حتى تضخَّـمَ . . حتى استفحـلَ
وبـدا كـلُّ بعـوضٍ أسـودَ
مثـلَ الدبـورِ وقــوتِـهِ
ثـــم انجــذبَ
اثنينِ . . اثنينِ
ويمتزجـانِ
وساحَ وذابَ بنفسِ اللحظـــهْ
كـــلُّ بعـــوضٍ أسودَ كـانَ
وَنَمَـاحَيَّـهْ
واغـوثـاه ! !
راحت تسعى نحــوَ الشرقِ ، ونحـوَ الغــربِ
تحمــلُ راسـاً فى مَقْـدِمِهـا
تحمــل راسا فى أرجلهـــا
ومؤخِّـــرَةُ الحيـةِ رأسُ
قمـةُ (إفرستٍ) أو أضخـــــم
ظلــت تسعـــى . .

شربتْ كلَّ البحـــرِ الميت
بـــل قتلتْـهُ ! !
وبـدا كـلُّ النحـلِ هـــراءً . . حين رآهـــا ! !
هـل يلدغُهـــا ؟ ! !
ليس يُفيــدْ ! !
أكلتْ كـل الشجـرِ الأخضــر
حتى المسجـدَ . . لـم ترحمْـهُ
فـابتلعتْـهُ
وظلّـتْ . . تسعـى . .
فإلـى أيـن ؟ !
هـل مِـنْ جنـدٍ ؟ !
ورَقَـاً كانـوا ! !
هـل مِـن نـارٍ ؟ !
ليست غيرَ دخـانٍ ساذَجْ ! !
هـــل مِنْ . . .
هـل مِـنْ. . . ؟ !
وإذا الشمسُ انقبضُ لظاهــا
وإذا العـالمُ ظـلُّ . . فجأهْ
وَرَنَـا يحيى
بَـصُّ لأعلـى

نسرٌ كانَ يملء الجو
لا أولَهُ ، ولا آخرَهُ تدركُ عينْ
إنَّ المخْلَبَ من قبضتِه
يقدِرُ ـ لو شاءُ بقوته ـ أنْ يتناولَ
كُرَةَ الأرضِ بكل مداها
أوْ يقذفها نحوَ عطارد
. . مثلَ جميعِ المذعورين ـ
رنَتِ الحيةُ
راحتْ تسعى ـ هذى المرةَ ـ
كى تختبىءَ بِجُحْرٍ ما
لم تتمكنْ
فهى الضخمهْ ! !
وحدى . . وحدى
ـ يحيى الحفناوىُّ العربىْ ـ
لم اتململْ
لم أترددْ أن التصقَ بهذا النسرِ
وأصْبِحَ شيئا من ذراتهْ
حين التقطَ الحيةَ ـ تسعى ـ
نَدتْ منها أنةُ هَمٌ

* * *

تلك اللحظـةْ
انزعـجَ الحُلْـمُ ولَـمَّا يعبـرْ نصفُ الليل ! !

* * *



[الرعـــــد . .]

صُبْـحُ العـاشرِ من رمضــانَ
التف الخِـلاَّنُ الأربـع :
يحيـى . . حُسينٌ
أشرفَ . . عـادلْ
حـولَ خريطـةِ سينا الكبـرى
كـى يتلقـوا مِن قائـدهم
تذكيـرَ التلقينِ السابقِ
وهمـو أعلـمُ بدقائِـقِـه
لكـنْ سمعوا . . حتى أكمـلَ كـلُّ حديثهْ
ثـم تَوجَّــهَ بدُعـابتهِ نحــوَ الحفناوىِّ وأشرفْ :
أعلــم أنكما الاثنان
نـدَّان بزمنِ الكُلِّيهْ
أىٌّ فـاقَ الآخـرَ فيهـا ؟ !

يحيى قـال : فُقْتُكَ يا أشرفُ بكثير
كنتُ الأولَ دونَ منازع
كنتُ السابقَ فى التدريب
يَبْسُمُ أشرف : حقاً كنتَ السابقَ حينا
لكـنْ هـذا اليومَ أُعَـوِّض
سوفَ أَفُـوْقُـكَ فى التصويبِ
وفى الإيقـاعِ بآل يهـوذا
أتُراهننى . . أنكَ يا يحيى لـن تُسْقِطِ
أيـةَ طـائـرةٍ غـادرةٍ ؟ !
ـ ولِـمَ هـذا الفـألُ الأسود ؟ !
ماذا أفعـلُ إنْ لـم ألتهـم الأعـداء ؟ !
ـ سوف يفِّـرونَ بخوفهمو
كيف ستسقط مَنْ لـم يصمـد للمعـركـة ؟ ! !
ـ حقـاً أشرفُ . . إنَّ نِكَـاتِكَ لا تتلكـأ
حتى لـو تهبط ، بمظلَّــةْ
ـ أهبطُ ؟ ! كيف ؟ !
هـل قـد ولـد ـ عزيزى يحيى ـ من يسقطنى
من طـائـرتى ؟ ! !

* * *

قبلَ الثانيةِ بلحظــاتٍ

كل الطيارينَ انتظـروا
فى طـائـرةٍ كـلٌّ يقبعْ
كـى يلتهـم رءوسَ الخــوف
كـلٌّ يقبض باللاسلكى
كى يتسمع أىَّ إشارهْ
كان الجـوُّ ككـوبِ اللبنِ
تناولَ يحيى مِن جَـدَّتِـهِ
ـ وهــو الطفـــلُ ـ
وتجلس تسحب ضـــرعَ البقـــرهْ
كانت (ستُّكَ) تحـت البقـرةِ
تعـرف كيف يحـنُّ اللبنُ ويعدو يهــوى
نحـو يديهـــا
كانت سِـتُّـكَ أحكـمَ مَـنْ قـادتْ بقـرتَهـــا
بقـرةُ ستك طـــوعُ يديهــــا
والطائـرةُ الميـجُ ـ الآنَ ـ
طـوعُ يـديكَ . .
وَصَـمْـتُ الصمـتِ يكلِّلُ معصمَ تلكَ اللحظـهْ
لا يتـردَّدُ غيـرُ الأمـلِ القـابعِ بطـلا
فى دَقَّـــاتِ القلـبِ الصاخبِ
يحـيى ينظـرُ فى ساعتِـهِ

يحـيى ينظـر للاسلكى

رعـــــدٌ . . .

رعـــــدٌ . . .

رعـــــدٌ . . .

رعـــــ . . .

صَمْـتْ جميـعِ الشعبِ العــربىْ

صمــتُ أبـو الهـولِ المتوجِّسِ

صَبْـرُ النيلِ وكـلٍّ تـرابِ الأرضِ الحبْـلَى

هــذى اللحظـةَ هـا قـد فُجِّـرْ

ذبح سنين النكسةِ ذبحـــا

خمسونَ ومائتا طـائـرةً

هبَّـتْ تعصفُ باللاوعــى

ترمى الكِـذبَـةَ فى الأطلنطـــى :

كِـــذْبَـةَ جنـــدىٍّ لايُقهـــر ! !

خمسون ومـائتا طائـرةً

فــى غمضـــةِ عيــنٍ

فى صَعْقِـــهْ

نقلتْنَا مِن لا شىء

إلـى كـلِّ الأشياء العظمــى

ركبتْ مَتْنَ الزمـنِ القــادم نحــو الحلْـمِ

بتلك اللحظـهْ
نفس اللحظـهْ
دَكٌّ مواقــعَ آلِ يهــوذا ألفــا مدفــع
صــــوتٌ واحــــد
لهــــبٌ واحــــد
مَـبْغَـى واحــــد
ألاَّ حَــقٌّ بغيــرِ الحـــقٍّ
ألفــا مدفـــعْ ظلـــتْ تهتـكُ عــرضَ الباطـــلِ
ظَلَّــتْ تقمــعُ رأس الباطـــلِ
ولمـــدة خمسين دقيقـــهْ
قصـــــفٌ . . قصــــفٌ
رعــــدٌ . . رعـــــدٌ
نــــارٌ . . نــــارٌ
ثـم امتـدَّ السيلُ البَشَـرىْ
جُنْدُ العُــرْبِ تمــدُّ خطـاهـا
تعــــدو
تعبــــر . .
نحــو الضفــه

* * *

ما زال الطيـرانُ المصــرىْ
يقطـــع نحـــوَ النصــر سبيلا
والقــائـدُ يجلس فى الغـرفـة
يتتبع (شاشات الموقف)
ومتى يبدو النسـرُ المصــرىْ
فـــوق الشاشـــةْ
يضـــرب هــدفا
لكـــنَّ الصــورة بيضـــاء ! !
وجهـــازُ اللاسلكى مَيِّـــتْ ! !
لا شىءَ يعكِّـر صفـــوَ الشاشةْ
لا شىء . .
يــا لكَ مــنْ رادارٍ قـــاسٍ
لا تتفهَّـــمُ فحـــوى اللحظـــةْ
ليتك تـــدرى أنَّ النســرَ المصـــرىْ
يقفـــز نحـــو يهـــــوذا ! !
ربـــعُ الساعـةِ هـــا قــد مـــرَّتْ
فى الطيرانِ . . ولــم تلقطْـــهُ فـــوقَ الهـدفِ
يحطِّــم . . يحـــرِقُ . . يصعـــق . . يَفْنِى
ثـــم يعـــود لحضـــن الـــوادى
يـــا لاسلكى

مــاذا عندك ؟ !
قـل وتكلــمْ
لـو قــد كَشفَ الجيشُ الآخـــرُ
ما أرسلنا من طيــرانٍ
كان تَصَــاعـدَ كـى يعترضَــهْ
بعضُ الطيرانِ المتغطــرس
وبــدا فــوق الشاشةِ عنـدكْ
يــا لاسلكـى . .
لا . .
لــم يحــدث
ليس هنالك غيــرُ ثـــوانٍ
يُشْـرِقُ فيهــا النجـــمُ المصــرى
فــوق الهـــدفِ
وإذا أشــرَقَ . . حــالا تُفْــرَشُ
فــوقَ الجـــوِّ مظلـــةُ أمــنٍ
من طيرانِ الجيشِ المصــرىْ
لـــن آمــرَهـــا بالإقــلاعِ
إلاَّ حينَ يُصــاب المرمى
فــى سيناءَ
حتــى لا يلتقطَ رادارٌ للأعـــداءِ

أيـــةَ عُـــدَّهْ

إلاَّ بعــدَ فـــواتِ الفرصـــهْ

إلا حين يحيـنُ الأمــرُ

لــذاك الجمــعِ الوامِ خِـدَعَـــاً

ومــواراةً

ذاكَ الجيشِ الشابعِ خيبــه ! !

فــى غفـــوتِـــهِ . . ليس يفيــقْ

وسنوقظُــهُ - وهـــو الميِّــتُ -

كيمــا ينظــرَ للمَلَــكَيْنِ

وَيلْــقَى قمعـــهْ ! !

مَلَكٌ يضـــربُ فى ميسرةٍ

تلك الضربــة

تخسفُ جسَدَهْ

فــى ظلمـــاتِ الأرضِ السفلى

ثــم يَمُــدُّ الملكُ الأيسرُ

سِنَّــةَ فَمِـــهِ

نحـــو ظــلامِ الأرضِ السفلى

يقبضُ منهــا شِلْوَ الجيشِ الشابعِ كِـــذْبَــا

كــى - يجمعَــهُ جسمــاً آخــرَ

ويمــزِّقــهُ

ويمــزقــهُ

ويمــزقــهُ . .

آهٍ . . آهٍ

فــوق الشاشة

بَــزَغَ النســرُ المصــرىْ

يضــربُ . . يضــربُ

يحـــرِقُ . .

هـــذا واحـــد

ثــم اثنان

ثــم ثلاثــةْ

مــائــة تبـدو . .

كـلٌّ يضـــربْ

ليس يُقَـــاوِمُ منْ أعــــداءُ

فَلْتَصَّــاعـدْ فــوق سمــاءِ الحــربِ مَظَـلّـةْ

تحمى النصـــرَ العـائـد فــوراً من سيناء

فَلْتَصَّــاعـدْ . .

فَلتصَّــاعـدْ . .

* * *

صـــدرَ الأمــرُ إلى الحفناوىْ
وجـمـاعـتـه
كى يتصــدّوا للطيـرانِ الغـائـرِ
يأتى فـوق الساحـل
يَقْصِـدُ ضَـرْبَ عبـورِ الجيشِ
وكبارينا عند الضِّفَـــهْ
هــذا التشكيلُ رباعـىٌّ
فـــوق مـدينة بور سعيـدُ
نظـرَ الحفناوىْ بعينـهِ ـ وهو السابحُ فـوق الجـوِّ ـ
فـــرأى بُقَعَـاً تبدو سودا
ثـــم اتضحتْ
كانت حَشْداً للطيـرانِ الغـادرِ . . جـاءت
اثنتا عشـرهْ
يا لَلْغُمَّـهْ ! !
سربُ الحنفـاوىْ أربعـةٌ
كيف يقـاتـلُ هـــذا الجمــعَ
فلو قَـــدْ نجحــــوا فى إلهــائِــهْ
ومطـــاردتِـــهْ
كـان النصـرُ
لكـــن . . كيف ؟ !

كـلُّ يفعــل ما يستطيع ، ،
أتكــون الطائــرة لمصـــرىْ
بثلاث من آلِ يهــــوذا ؟ !
كيف يقـاتل ؟ !
«يا يحيى . . ذى الميجُ بطــوعكْ
يـا يحيـى . . فاضــربْ وتجبَّــرْ
يـا يحيى . . قـد حـانَ النصـرُ
يـا يحيى . . ومقـامُكَ أكبـرْ
فتقـدم ، وانقَـضْ ، وقـاتلْ
مكتـوبٌ أنـكَ لــن تُقْـهَـر »
هـذا الصــوتُ يُــرَدَّدُ أعلى
من أفـواهِ الطيـرِ السابحِ
يمـلأ جــوَّ الحـرب نعيمــاً
فحمامـاتُ خُضْــرُ المِنْقَــرْ
راحـــتْ تشدو
راحــت ترقــصُ
تَـرْسُم تحـتَ الشمس هـلالاً
وبمنقــارِ الطيــرِ حِجــارهْ
عَــمَّ نشيـدُ العــزَّةِ يحـيى
فانفــرَدَ بأربعــةٍ منهـــم

فيـداورهـــم
ويناورهـــم
وهـمُ أربــعْ
إنَّ عــدوَّ الحـــقِّ خبيــثٌ
ظنـوا يحيـى غـر الخِبْــرهْ
فتقـدمَـهُ اثنانِ لأسفـلْ
كى يَتْبَـعَ فيسقط بين الفـخِّ ويهلكْ
أسفـلَ يحيى طياران
أعلى يحيى طياران
يـا للهــوَّهْ
لكــنْ يحيـى كـان الأدهـى
فمضى نحـوَ الأسفـلِ يوهـِـمُ
أنَّ خَــد يعَتَهم لبستْهُ
كـان الطيارانِ وراءَهُ
فى لحظته ـ غمضــةِ عينٍ ـ
شدَّت يـدُهُ عصــاةَ قيادة
نحـــو الصـــدرِ
فَعَـــلاً يحيى ـ وعمودياً ـ فـوق جميع الطيارين
وبـدورته نحـــو الخلفِ تمكَّـنَ أن يركبَ مَـنْ خَلْفَـهْ
ويفـــرُّ الطيـرانُ الغــادرُ

لـم يتمكَّـــن
صَـــوِّبَ يحـيى . . بُحْكِـمُ
يضـــربُ
سقطتْ إحـــدى الطياراتْ
واحترقَ الطيـارُ الجاهـــلُ
لاذَ الباقـــون بخوفهمـو
وَلُّـــوا نحـــو الشرقِ هـــروبا
أمَّـا البطـلُ فلم يتمهـلْ فـى المعـركةِ
لا يتـوانى
فلقـــد مـــرضَ حُسينُ زميلُـهْ
فتولَّـــى يحيـى موقعَـــهُ
قـــام بطلعتِـهِ الثانيةِ
وعـــاد نشيطا
ليس يصـــدِّقُ من يلمحـــهُ
أنَّ الحفناويَّ تَقَاتَـل ! !

* * *

فـى يـوم المعـركةِ الأول
فـى اليومِ العـاشرِ من رمضـــان
طَعْـــمُ النصـرِ لـــذيذٌ ، حلْـــوٌ
فـــى الأفـــواهْ

وَجْهُ النصرِ المشرقُ غطّى
كلُّ وجوهِ الغَمِّ الماضى
كلُّ ليالى الاستفزاز
كلُّ رمالِ الأرضِ بسينا
والصحراء . .
شَجَرُ التوت اهتزّ
وعانقَ غصنَ المانجو والليمون
موجُ النيلِ تراقصَ وعلا
قَبَّلَ شطآنَ القاهرةِ
بَاسَ السفن
وبَاسَ نسيمَ الشفقِ الأحمر
طارَ رذاذاً فوق هواءِ الوادى الأخضر
فتناوَلَهُ الريحُ الشادى
واستنزلَهُ :
برداً ، وسلاماً ، وصفا
يعلو وَجْهَ الجُنْدِ العابرِ فى سيناء
يمسحُ صدرَ نسورِ الجوِّ من الاعياء
هذا اليومُ الأولُ نَغَمٌ
فى أفئدةٍ للأطفالِ بدربِ الحُصْرِ
وشرم الشيخِ ، وكفرِ الشيخِ

وفى شنوانَ ، وفـى مطـــروحَ
وفى الغـردقـةِ ، وراس محمـد
فـى الفيـوم ، وكفــــر العمـدة
فـى عَمَّــانَ ، وفـى بغـــدادَ
وفـى مسقـط

هـذا اليـومُ العـاشـرُ لحــنُ
ســال بأفـــواهِ طفـــولتنا :
إحنـــــا ولاد المصـــــــريينْ
جـــينا يـا ســـينا منتــصـــرينْ
وبـرجــولـتـنـا ، وبـعـــــروبـتـنـا
يـــرجـــع تـــانـــى يـــوم حـــطــينْ
حـطـمـنـا تحـــــــصين بـارلـيـف
ونـحـــــــــرر بـكـره فـلـسـطـين
إحنـــا ولاد المصـــريين
هـذا اليوم العـاشر غَـــرَقٌ
ليست فيـه سفينة نـوحٍ
بـل لا تُجْـــدِى
إنَّ الأطلنطى قـد فــاضَ
فهـــل ينفعهـم سَدٌّ كـاذب ؟ !
مــاذا يفعــلُ بالتوربيدِ اشَـلُّ أعـــورْ ؟ !

ماذا يفعلُ بالميراجِ الجهــلُ الأحمـــقْ
كانــوا وَسْطَ الجـــوِّ كثيرا
لكــنْ مثلَ ذبــابٍ تــائــهْ
يتصيدهُ النسرُ المصـرىْ
بين الحَــرْقِ ، وبين الطُــرْقِ
يتلقَّــاهــم رمــلُ الطـــور الساخــرُ منهـــم
شلْوا . . شلْوَا ! !

فـى اليومِ الأولِ للحـــربِ
قــد حُرقَتْ وانتثرتْ فحما
ستون بأرضِ المعــركةِ
ومطاراتٌ للأعــداءِ : ثــلاثٌ منهــا
وصــواريخُ الأرضِ / الجـــو
كانت (هـــوك)
فأضحـــتْ فَحْمَـا ! !
ومراكــزُ شوشرةٍ كانت
فى أمِّ خشيبٍ موقعهـــا
ومحطـــاتٌ للرادار
وَهُــدِمَتْ فــوق بنى صهيـــونٍ
فى سيناءَ مراكــزُ كبــرى
كانت تؤخـــذُ لقياتهم

يا لَـلْمعِ إذا ما ثـارت ! !
لكــنَّ الميراجَ الأسرعُ
والأكثرُ حمـــلا لعتـادٍ
بـــــل إنَّ الإنسانَ الفيصــلُ
وبيـده ملكـــوتُ الجـــوِّ
لــو كان كيحيى الحفناوى
عـــربىُّ القلـــبِ بإخـلاصٍ
نيلىُّ البشرةِ والنبضِ
فالنصــرُ لــهُ
والنصــرُ لــهُ ! !

* * *

فـى اليوم الثانى للحــربِ
منذ بــزوغِ اللـــونِ الأبيض
فــــوق جبين الإنسانيه
راح الطيرانُ المصــــرىُّ
يجـــوبَ سمــاءَ المعــركةِ
ليس يعكِّـــرُ صفــوَ هــواه
«ذراعٌ طـــــولى»
منذاليومِ الأولِ قُطِعَــتْ
ما بقيتْ إلاَّ إصبعهـا ! !

بقيتْ حيــهْ

حتى حيــن ! !

وتَلقَّــى يحـيى والسربُ

أمــراً بالتحليقِ الحــر

طلعــةِ قنصٍ أعلى سينا

وانتفضتْ دقاتُ القلبِ

وقفـــز بوجهِ الحفناوىِ دمـاء الشوق

حـــــانَ الموعـــدُ

سوف أحَلِّـــق فــوقَـكِ سينا

سوف أشوفُـك من أعــلاكِ

سوف أرَتِّـلُ حُـلْمَ الامسِ

قنابـلَ تصعـقُ أهــلَ العجـــلِ

وانطلــق التشكيلُ وطينا

كــى لا يُكْشَفَ بالــرادار

وانقسم التشكيل اثنين :

أشرفُ كـان يمينَ محمـدْ

وإلى أعلـى ــ بيسارهمـا ــ

قـائـدُ تشكيلِ الحفناوى ومرافقُـهُ

حين ارتفع السربُ لأعلى

شاهـد تشكيلَ الأعــداءِ

سرباً من أربعــةٍ كـان
للميراجِ . . تحـاول قنصَ القائـدِ فجـأهْ
لكـنْ يحيـى كـان الأسـرعَ
نَـبَّـهَ ، حـــذَّرَ
فتلافـى الأعـداءَ بسرعهْ
فى دورانٍ . . ونجـا منهـم
غمضــةَ عينٍ نـاورَ يحيـى
نـــاور أعلـى
كـى ينقضَّ على الأعــداء
فى لحظتهـــا . . قبلَ الضــربِ
يلمح يحيى سرباً آخــرَ من أربعــةٍ
يدخـلُ خلفـــهْ
ليحـاصـرَهُ
يا للمــأزق
فهمــو أربــعْ
وهمـــا اثنان
أصــدر يحيى أمـراً فــوراً
لمرافقــه بالدوران لأسفـل حَــدٍّ
ثـم انطلـقَ بدورةِ خلفٍ
بمفاجـأة للأعـــداء

فأصبح خلفـــاً من سربهمو
ضبطَ وَنَشَّـــنَ
أطلـــقَ دانـــهْ
فى مقتلِ طائــرةِ عـــدوٍّ
فهـــوتْ نـــارا
والطيارُ الأحمـــقُ يسقطُ
من خيبتـه بِمظلَّتِـهِ ! !
فَـرَّ الباقـــون بجلدهمـو ! !
هـــذى بسمـةُ يحيـى تبرغ
تنشرُ عبـرَ سماءِ الحــربِ أريجَ بطولـهْ
نَفَسٌ أعمـــق يمـلأ قفصَ البطـلِ هـــواءْ
مـن سينـاء
نَفَسٌ آخـــر
نَفَسٌ ثالث
إنَّ هـــــواءَ الأرضِ مُحَـــرَّرْ
ما أحـــلاه إذا ما يسرى فى أعظمنـــا
فى شريان النيلِ الأسمــر
قهقـهَ يحيـى حين تـردَّدَ فى أذنيــهِ حديثُ حَـــارْ
أشرف قـــال :
ـ تسبقُ دومـا يا حفنـاوىْ نحـو الصيـد ! !

ـ أشـرفْ . . أشـرفْ . . أيـن ذهبـتْ . .
وهـل أسقطتَ عـــدواً آخـــر ؟ ! !
ـ فَــرُّوا منكَ فلـم أتمكَّـنَ أنْ أسقطَهم ! !
آهٍ لـــو وقفـــوا . . فـى وجهـــى ! !
ـ فِعْـلاً . . فعــلاً . . أعلــمُ هـــــذا ! !

* * *

فى كـــلِّ سويعـــاتٍ تمضــى
يَسَّاقطُ طيــرانُ يهـــودٍ
مفترشاً نبضات الأرض
كـلَّ صبـاحٍ حين تصفـقُ للأحـــرارِ
و(ترقص عشرهْ)! !
حين تضمُّ دمــاء الطُّـهْــرِ
حين تشمُّ دمــاء العُـهْــرِ
المتلوِّنِ ذُلاً
يَسَّاقَـطُ مقهــورَ الخاطـــرِ
منبوذَ المـاضى والحاضــر
سقطتْ مـائـةٌ من طيرانِ بنى صهيــونٍ
فــى أيـــامٍ
ثلثُ الطيــرانِ المتغطــرسِ
والمعــركةُ بسينا حُسِـمَتْ

ليس لـديهـم غيرُ قليـلٍ
لا يكفـى الـذَّوْدَ عـن الأجـواءِ بتل أبيب
مثلَ الطفـلِ إذا مـا افتقـدَ اللُّعْبـةَ يصــرخ
مثلَ الذئـبِ إذا مـا خَشِيَ الطلقـةَ يعــوى
مثلَ العـذرا إذا ما انطـرحت
فــوق الظهــرِ يقيِّـدُهـا فحــلانِ اثنانِ
والفحــلُ الثالثُ يتأهـبُ
يقتحــمُ الأغشيةَ الخجـلى
أوَّلَ مــرهْ
تصــرخُ . . تصــرخُ
كانت جـولدا مثلَ أولئـك
جلَـدُ الوجــهِ المشدودُ بخـديهـا يُفْــرَع
والشعــرُ المطْلِــىُّ بقــارٍ
فَـرٌّ من الراس المشحــونِ بلاهـهْ
والعينُ الشمطــاءُ (بموشى)
غــارت بالجبهــة كالعــورا
يا موشى فرعونكَ قــادمْ
لــن يغـرقَ فـى عـرض البحــرِ
لــن ينشقُّ البحــرُ لتمضـى
بـل ينشقُّ لكى يبلعَـكَ

مـا مـاتَ الفـرعـونُ قــديمـا
بـل يقبـع تحت الصفصــافِ
يتنشقُ أنسامَ النيـلِ
يتسمّـع أنّـات سالت
بسواقــى الفيــومِ
ويسقى غيطــان القثاء الصــامـد
فـرعـونٌ يحمـل مقْطَفَـهُ ، ويـردِّدُ ألحــانَ العــزّه
فـرعـونٌ ـ يا موشى ـ يسبحُ
فى البحـرِ الأبيضِ توربيــدا
فـرعـونٌ يا موشى زورقْ
فـرعــونٌ فى الأرض بسينا
جنــدىٌّ مشاةٍ يلتهمُكْ
فــرعـونٌ «تحسينٌ» ، ، وبـدوى ، ،
فــرعــونٌ «صبرى أبو طالـب ، ،
و«عــرابى ، ، ذو البأسِ العـربىْ
«عباسُ ، ، الجبـارُ الصـاعـق *
فرعـونٌ فى الجــو نسورٌ
فجَّـــرَت الرهبــةَ فـى عمقــكَ
وافتَضّــتْ من قلـبِكَ أملكْ

* هم حسب مواقعهم الآن : تحسين شنن محافظ السويس سابقا والراحل أحمد بدوى ، ويوسف صبرى أبو طالب وزير الدفاع السابق ، والفريق إبراهيم العرابى رئيس هيئة التصنيع واللواء محيى الدين عباس مدير الشئون المعنوية .

فـــرعـــونٌ : المدفــعُ والدَّانَــةْ
فـــرعـــونُ الأرضُ المزدَانَــةْ
فـرعـونٌ : الليلُ إذا يغـشى
والفــجــرُ الناشـــرُ عنوانَــهْ
والكَـرْمُ ، وبسـتـان المانجـو
والـزهـرُ الـراسـمُ ألـوانَـــهْ
والـطـفـلُ يـنـاغـي قـطـتَـهُ
وتصـــــارعُ يَـدُهُ أفـــرانَهْ
والشـــيخُ النيلـىُّ الطلعـه
وقَّعَ بالمنـجلِ ألحـــــانَــهْ
وفـــتـــاةٌ تحــضنُ جرَّتَهـــا
للتـــرعــةِ تخطرُ فـــينانَهْ
وتـغـنـى : (أنـا بـنـت الـريـفْ
أنا خـضـرهْ وعـيونْ نعسـانَهْ
أنا شـجـرهْ. أنا فُـلَّـهْ وقـمـرةْ
أنا باسـقى المَيَّـهْ وعطشـانَهْ
فـــرعـــونٌ : الروحُ المتنامى
وعـــيـــونُ العُرْبِ اليـــقظَانَــةْ
فـــرعـــونٌ نارٌ ، ودمـــــارٌ
وعـــبـــيـــرٌ يُحْيى إخـوانَــهْ

يا جـولـدا

تبغين المهـرب

لا مهـرب من أمـرِ الجُنْـدِ

واشتعـلَ الحقـدُ الأمريكى

واشتطُّ الغيظُ ، وفـاضَ ، وزادَ

فكـــانَ سلاحـــا

عَـوَّضَ جـــولدا

ما فقـدتْـــهُ

بـــل قـــد فاقَـهْ

خـطٌّ للطيرانِ يسيل
من أمريكا حتى أرضِ الحــربِ بسينا
دباباتٌ والميراجُ
وكــلُّ ذخــائـرَ للأسلحــةِ
وطيــارون
ومـالٌ فـاضَ بأيـدى جــولدا
لكــنَّ المعــركةَ عزيمـةْ
فالجيشُ المصــــرىُّ تَقَــدَّم
ويُصِــرُّ بأنْ يبقى الأعلى
رغــم قليلٍ من أسلحـــةٍ
لا تتجــاوزُ حَــدَّ الحاجَــهْ
ظَــلَّ الفردُ هــو الطائـرةَ
ظـل الفـردُ هـو القنبلةَ
ظـل الفـــردُ هـــو الدبابـةَ
تكسح كـلَّ عَتَـادِ أمركـا !!!

* * *

فضياء الدين الحفنـاوىْ
ما زال بأحضـانِ الميج
قنبلـةَ خلـودٍ لاتَـفْـنَى
قنبلةً تَقْتُلُ ، لا تُقْتَـل

والميجُ تبارك قُـوّتَـهُ
ورقيـقٌ مقودُهـا معـه
يعشقُـهُ ، ويلبِّى حُلْمَـهُ
فالميجُ ــ الشرقية ــ تدرى
أنَّ ضياءَ ابـنُ الشرقِ
الميجُ ــ الروسية ــ تكـرهُ
ميراجَ الغَـرْبِ وصنعتـه
هــى لاَ تتَّاقـلُ أنْ تقمع
أنفَ الميراج ، وتبتـرَهُ
هــى لا تتردد ، لا تخشى
أن تقـذفَ نيرانَ الحـقِّ
وضياءُ يعشق طـائـرته
وبحكمـةِ يـدِهِ قـد فاقت
عشراتٍ من صنع أمركـا
يا فخـرَ الطائرةِ الحُـرَّةِ
لـو مَسَّ ضيـاءُ مقـودهـا ! !
طلعــاتٌ أربــع
ــ فى اليـوم ــ
ما ملَّـتْ منه حبيبتهُ
ما كلَّـتْ يـدُهُ ولا راسهُ

ما ارتعشتْ رجْـلُ الحفنـاوىْ
ما اهتـزَّ القلبُ ولا العين
فى الجـزء الأوسطِ من سينا
يتبختر يحيى فى ثقـةٍ
قـربَ الشمس
وفى إحـدى الطلعـات تـراءَى
لعيونِ السربِ المصـرىِّ
ـ سرب الحفناوى وأشرف ـ
تشكيلٌ للفانتوم قـادمْ
يترصَّـدُ ضـرب مواقعنا شرقَ الضفـهْ
والفانتومُ جبـارٌ مـاردْ
قلعــةُ طيـرانٍ متحـركْ
آخـرُ مـا أنجـبَ عقلهمـو
فـى عِلْـمِ الحـربِ وتخطيطـهْ
والميج ، مع يحيـى اختلَّـتْ
عجـلاتُ الخلفِ بهـا سقطت
ـ أجـزاء منهـا تتـدلَّـى ـ
فالسرعـةُ تبطىء لـن تقـوى
لمواجهــة جنـونِ الفـانتوم
لـم يرجـع يحيى الحفناوى

كى يصلح من شأنِ الميج
ورأى أنَّ الحـــربَ قيــادهْ ،
عِلْـمٌ ، إيمـــانٌ بالمــبدأ
فتصــدَّى ـ والسرب وراءَهْ ـ
لعـــدوٍّ تمتْ عُـدّتُــهُ
ما بين الكــرِّ إلى الفــرِّ
ما بين عُلُــوٍّ ودُنُـــو
اتضحــتْ أنباءُ الحـــربِ بين السرب
والفانتوم وقعـت بالمــأزق
لــن تقــوى أنْ تدفــعَ غـــولا
مصريــاً . . شوكتُــهُ الحـــقُّ
فانطلق الطيــرانُ الغــادر
للشرقِ يطــاردُهُ الذعـــرُ
وسحاباتُ الخــوفِ تلفُّــهْ
لـــم يرحـــمْ يحيــى ذعــرهمــو
لـــم يقنع بغنيمــةِ نصـــرٍ
لا يسقــطُ فيــه لهــم فـانتوم
فتتبَّــعَ إحــداهــا وحـــدَهْ
ودمـــاءُ الخـــوفِ المهـــزوم
تستشرى فى جسم الهــاربِ

فتمنى لــو لــم تشهـــدْهُ
أزمـــانٌ يشهـــدُهـا يحيى
وتمنتْ طـائـرةُ الفانتوم
لــو كانت فى اللحظـــةِ خُـــرْدَهْ
أو صخـــراً فــى حضــن الطــور
أو لعباً فـــى إصبعِ طفـــلٍ
يتشيطَنُ فى وادى حـــوف !!
والطيـــار الهـــاربُ يهـــرب
ويلاحقُـــهُ الصاعـــقُ يحيـــى
ويلاحقـــــه
حتى اخترقا حَـــدَّ الصـــــوت
وقلوب الجنـدِ المصـــرىِّ
فـى أيـديهـم:
يــا اللـــــه : :
يــا اللـــــه : :
انصـــر دينك : :
ويصـــوِّبُ يحيى الحفنـــاوى
فـــاذا بالفانتوم أشلاءٌ
فـــوق مواقـــعَ جـــاءتْ تبغــى أن تضربهـــا ! !
وَعَـــــدَا يحيـى نحـــوَ القاعـــدةِ المنتظـــرهْ

كيمـــا يهبـــطَ
ويـريحَ حبيبتَــهُ الميج
لكـــنْ فى عجلتهــا اليمنى
كانت علِّــهْ
ليستْ تنــزلُ
حـــاولَ . . حـــاولَ
لـــم يتمكَّـنْ
دارا . . لَفـًا
لكـــنَّ الرومتيزمَ تمكَّــــنَ
فـى يُمنـى الطـائرةِ الميج
يستعطفهـــا
كانت أعجـــــزَ أنْ تتماثلَ لاستعطافِــهْ
ظلــت تبكى من عِلَّتِهـا
تبكـى للهجـرانِ وقـــوداً
ليست تحفظُ غـيرَ قليــل
والحفـنـاوىْ يلفُّ يلـــف
فـــوق الموقـــعِ كيما يهبط
لا يتمكَّـــــنْ
أمَـرَ القـائـدُ أنْ يتنازل عـن طـائـرتِهْ
يهبطَ فـــوراً بمظلتهـــا



يسَّاقطُ دمع الحفنـاوىْ
فـــوق المِقْــوَدْ
وعـلى الكــرسىْ
ينظـر كـلَّ جـــزىء فيهـــا
بلمسَــةُ . . يتنسَّـمُ
يستنشق عطـــرَ محـركهـا
ويقـــود حبيبتـــه الثكـلى
شرقَ الدلتا
حيث خـــلاءُ . . كى يدفنهـــا
يقفـــز يحيى بمظلته
يستقبله الزهـــرُ الباسمُ لمحيـــاهُ
تمـــدُّ الأرضُ لَــــهُ يدَهــا
فيعـــانقهـا
وتعـــانقــهُ

* * *

[علوان]

لا ينقطع دُخَانُ النصر
بمصرعِ ميج الحفناوى
بل يزدهرُ الجوُّ ضياءً
فى عينىْ عبدهْ علوانْ *
وهو يعانق فى غبطته
هذا الضبع الأسودَ (سامْ)
كرةُ الأرضِ ـ بكل مداها ـ فى قبضتهِ
سبعةُ الجو ـ السابح فوق النار ـ جميعاً فى قبضته
نظرةُ علوانٍ تترددُّ فى طبقاتِ الجوِّ زلازلَ

* عبده علوان : هو محمد رمضان عبده علوان . ولد فى مايو ١٩٤٩ بعزبة مارون التابعة لقرية سيدى غازى بكفر الدوار ـ البحيرة ـ وحصل على الثانوية العامة ثم التحق بالجيش ـ سلاح الدفاع الجوى ـ وتدرب على القانف (سام ٧) المسمى بالضبع الأسود

أيــن القنصُ ؟ !
عـدة أيام قـد مــرَّتْ
وذبــابُ الأعــداء تساقَطَ
من نفثاتِ النصــرِ العــربىْ
ليست تجـــرؤ أىُّ ذبـابــهْ
أنْ تتقـــدم
ــ يا سامُ تمهَّــلْ لا تقلـــقْ
فالقنص أكيدٌ لــن يُفْقَـدْ
بــل ترقص داناتُكَ بُــرْهَـهْ
وهــى تفتُّ بعظــم الفانتوم وتُغــرْبِلُــهُ
ــ يا رمضـــانُ . . مللتُ الصمــتَ
والدبابةُ تكسح . . تمضــى
والمدفــعُ يتباهــى انى لستُ أُقَــارَنُ بضخــامته
فمتى أثبتُ انى الفتَّــاكُ إذا أطْلِــقْ
ومتى أتنفس ذُلَّ حطــام الميــراج
المنثــور هبــاء
يا رمضـــانُ . . ادفعنى ، أطـْلِـقْ
الثامنَ عشرَ ، وفى وسطِـه
ساق الحَيْنُ الفانتومَ . . أربــعْ
حـامت حــول الموقــع حَــوْمَـاً

لَفَّتْ حـول صـواريخ مصـريهْ
هبطتْ قُـرْبَـاً مـن بُغْيتهـا
من قاعـدةٍ ، لتفجِّـــرَهـا
كان الضبـعُ الاسـودُ أسـرع
نَشَّـنَ عبـده
أطْلَـقَ . . أسقط
سَبَحَتْ طـائـرةٌ فى دَمِهـا
هـــرب الباقـون بخـزيهمـو
حين ابتسمَ الضبعُ الأسود
كان محمـدُ يَبْسُمْ مثلَـهْ
يـربت فـوقَـهْ
ويقبِّلُـهُ
يملأ معـدتَـهُ بالـدُّانَـهْ
يستمهلُـهُ كيمـا يرصـدَ صيداً آخـــرَ

بعـد دقائـقَ
كـان المـوجُ السابحُ أعلى
يأخـذُ بالقلبِ ويعصـرُهُ
هـذى الميجُ تقـاتل زوجـاً
للميراج أراد الثـأرا
تعلـو الميجُ . . فليست تُفْلِتُ
تهبطُ ، تسبحُ ، تعـدو

ظلَّتْ بين الميراج وميراج
لا تقيضُ فى ذيلِ الأملِ
عبده حائرْ
كيف يَميّزُ ويطلق دانه
والطيرانُ يقلّبُ بعضَهْ
فوقٌ تحتٌ
تحتٌ فوقٌ
كيف ينشّن ؟ !
ودّبانْ يعلو . . يَصّاعد
يمسكَ بالميراجِ بيده
يقذُفَها فى سابعِ أرضٍ !!
يفركَها بين أناملِهِ !!
والميجُ تداورُ وتناور
كادت أنْ يدخلَها الصمت
ما بين البرهةِ والبرهةْ . .
انقضُ الضبعُ بدانتهِ
لم يترك بالميراجِ صدى
لايبدو غيرُ صفائحها
والنيرانْ اقتاتتْ منها
قَرّتْ عينا

والميراجُ الأخرى فَرَّتْ
مثلَ فرارِ الدمعِ الباسمِ
من عينيْ عبده علوان
وهو يغذّى الضبعَ بدانة
ويقبِّلُهُ . .

زلزلَ صوتُ مراقبِ جوٍّ :
«يا علوانُ . . هنالك هَجْمَهْ
يدنو . . تدنو
طائرتانِ
فَفَتِّحْ عينَكَ ، ،
قبلَ نفادِ الصوتِ انقضَّتْ
إحدى الطائرتين قريبا
من موقعِ علوانَ ، وزاغت
ظنتْ أنَّ الأمرَ نجاحٌ
ثم تعود بحملِ دمارٍ
فتوزِّعه
ظنتْ أنَّ الضربَ مباحٌ دونَ الردِّ
هذا الطيار بطائرته
يتنفسُ فى عمقٍ أكبرْ :
نجحتْ ضربَه
كنتُ أُطَارِدُ طولَ اليوم

وكنتُ الهــاربَ
أمَّــا الآن فـإنـى أفخـــر
صــدَّتُ صــواريخــاً مصـــريه
رفـــع يـديـهِ . . لتلمسَ ذقنـه
وتداعب خصـلاتِ الشعـر
قبـل وصـــول يـديـه إليـه
كانت ضربـةُ عبدهْ وصلـتْ
فاخترقت طـائـرة الفـانتوم
فــى برهــات كان الطيـار المتدلـلُ
يسقطُ منهـــا بمظلتــه
بين الأســـر ، وبين الــذل
فعــدا عبـده يتلقـــاه
بالبسمــات وبالتهنئــة ! !
للإفــلات من التفتيت
مــن الإعــدام المتلصِّص فــى الضبع الأسود
يدفـــعُ عبـده بالطيــارِ إلى موقعــه
بين الأسرى . . يشبهُ بقــــرهْ
هــذا البقــر أســوقُ أمــامــى
نحــــــو الغيــط
هـــذى بقــرةُ عمـــى مرعـى أسمــنُ أكثـرَ

مـن بقـــرتنا
فلهـــا حـــقٌّ . . بقـــرتُنا واحـــدةٌ
تحـــرثُ . . تجـــرفُ . . تتحمـــل عـــبءَ الساقيـة
تنجـبُ ذُكْــرَانا وإناثـا
نشرب منهـــا حَلْـبَ الصبـــحِ
ليس سواهـــا مـــن يسقينـــا
بقـــرةُ مـــرعـى إحـــدى البقـــراتِ
المربوطـةِ فـى الـدوارِ . . لعمـى مرعـى
ترعـى . . تأكـل فـى أفدنـةٍ
صبـراً يا بقـرتنا صبـــرا
فغـداً يصبح لابنك شأنٌ
مالكَ يا مأسورُ تناور
امـض يمـينـا
امـض شمـالا
قـف بمكـانك
هـــذا يا قائـدَنا . . واحـــد
من أســـراى

* * *

«فانتـــومْ . . يا علـــوانْ . . فـــانتومْ» ،
تَقْصِـدُ قاعـدةً مصـــرية
جـــاءت خلســـةْ

معهــــا أربــع
قبـل دخــول النَفسِ الثانــى
فــى رئتيــه
كان البطـلُ أعــدَّ سلاحــهْ
أطلـــقَ دانـــة
فَهَــوَتْ فانتـوم نحــو الرمــلِ
تَدْفِــن فيـه بقـايـا عــدمٍ
سبقتْ قائـدَهـا للأرضِ
فتلقفْـهُ عبده نَشطَـــاً
عيـنٌ فــى خضــرة برسيمِ الحقـلِ الغــربى
شعـــرٌ مثلْ سنابـلِ قمــحٍ
ترجــو المنجـــلَ قبل النــورج
لـــوز القطـــن يشابـه وجهــه
أوَ طيــار هــذا يَقْتُل ؟ !!
ويهــوديٌ يزهــو بين العالــمِ طُــراً بشجاعته ؟!!
أهُـــوَ صقـــرٌ ؟ !!
قـــل ـ لـو تعـرف ـ
بنــتٌ أنتَ أم سيـده ؟ !!
ـ يا عــربيٌ . . كفــانى ذُلاً
إنَّ الفــانتـومَ لــم تنفعنـى

إنــى أمريكـــيٌّ جئــتُ
لكـــى أقتلكـم . . لم أتمكَّـــن
قَـــدَرِى أســـود !!
- مِـمَ تخشى . . أنتَ بِـرَعْشَـهْ .
سوف تعيش عـزيـزا فينـا
دون إهـــانهْ
مـا دمتَ الآن بـلا خطـــــر
إنسانا تحيا فــى سِلـــمٍ

* * *

حيـن ارتعشَ اليـومُ الخامسُ منـذُ الحـــربِ
وبـدا يقبـلُ ليـلُ صـــداه
وتلـف الكـــونَ مـلاءَتُـهُ السوداءُ بحُلـــمٍ
كـان محمـدُ أسقطَ خمسا
فانتومَ ، ميـراجَ ، سكـاى هـــوك
يَحْـرِقُ خمســا
شهـمٌ مـن سيدى غـازى
ـ كفـرِ الدوارِ ـ بمفــردهِ
وبقلـبٍ من طمى النيـل
ودمـاءٍ مـن مـاءِ النيـلِ

وابـنُ الفـلاحِ المتغطى بالسِّتـرِ
من البـردِ الشتوىْ
بالسِّتـر مـن الحـرِّ الصيفـىْ
الجوعـانِ إلـى كـلِّ اللـذات الحلـوه
إلا الصبـر
الشبعـانِ من الوجـدِ إلـى يـومٍ
يحيـا فيـه كإنسان
ابـنِ الليـلِ ، الويـلِ ، المـوالِ الملفـوفِ
بألسنةِ الساقيـةِ . . تـدورُ ، تـدورْ
ويجنـى دمـعَ العينِ سواهـا
هـذا الولـدُ ابـنُ الفـلاحْ
يُسْقِطُ خَمْساً مـن طيـرانِ الجيشِ الغـادر
يا (أم محمـدْ) . . قَـرِّىْ عَيْنَـاً
قـد أنجبتِ الولـدَ الولـدَ
هُـزِّى النصـرَ فَيُسْقِطَ رطبـا
فـإذا كان جَنِياً . . كانْ
فالتهميـه
إنْ لـم يَـبْـدُ جـنيًا . . .
أيضـاً . . فالتهميهْ ! ! !

* * *

[راشـــيل]

«راشيلُ ، ، تـرشُّ السِّحْـرَ على روفى ،،
يصَّـاعدُ مـن ساقيهـا النــور
وينصبُّ على عينـى روفائيــل
ويسبحُ فـوق بـلاطِ الحصــنِ
وفـى الحجــراتِ
علـى الصـدرِ اختُطَّـتْ جنـاتٌ
لا أولَ فيهـا ، لا آخــرَ
مـن يدخـل لا يخــرج أبـدا
من يخـرج لـم يخــرج حقـا
مـاذا يعنـى مخلبُ مـوتٍ
فــوق الحصــنِ
إذا كانت راشيل تغنــى :

مـــوهـــوبٌ قلبى يا روفـــى ليــديكَ فــلا تعــبثْ فــيــهْ
فـــاضْمُــمْ نبــضــاتِ تهــواكَ إياك تــخــون وتــرمـــيــــهْ
مــا زوجُكَ أحسنُ من عشــقى وجـــمـــالِ عــينى تحــويهْ
إنــى أشـــتـــاقُـــكَ ، ولهـــيبُ بفـــؤادى جـــابَ نواحـــيــهْ
لا تــهـــربْ ، إنـــى أتْبعـــُكْ ومَنْ غــيــرُكَ لهــبى يطفــيــهْ ؟!

ـ يا راشيلُ . . الحصــنُ تهــدَّمَ جنبٌ منهُ
من أعــلى ضـــربُ الطيـــران
بالجنــبِ هـــديــرُ مدافعهـــم
لا مــاء بحصـــنِ الفــرْدَان *
لا نــورَ . . انقطـــعَ التيـــار
حتى التليفونُ بلا نبضِ
مــا معنــا غيــرُ اللاسلكى
يتوالدُ ضربهمو ضربا
وهجومٌ قـــرب الأبــواب
ـ أتخــافُ المــوتَ ؟ ! . . أنا معــك ! !
ـ لا أخشى . . لا أخشى المــوتَ
فقد متنا لثــلاثِ ليــالِ
«جونين » ، ـ لــه اللعنــةُ ! ـ قال :
« تأتيــكَ النجـــدةُ »

* حصن الفردان : موقع شرق قناة السويس »

لـم تـأت
قـد أكَّـدَ مـراتٍ أخـرى
يكـذبُ . . يكـذبُ
منذ دقائقَ فى اللاسلكى قال وأكَّـد :
«عسافُ آتٍ بلوائـه » ،
ـ لا يكـذبُ قائدنا أبـدا
النجـدةُ عـن قربٍ تأتى
عسافُ رجـلُ ذو بأسٍ
سيفكُ حصـارَ الفـردان
وسيضـربُ فى العمـقِ المصـرى
ـ فلتستمعى . . هـذى النجـدةُ فـوقَ الحصـنِ
قنابلُ تَفْتُك !!
لـن ننتظرَ وصـولَ معونـهْ
يا راشيلُ نُسلِّـمُ نَسْلَـم
صـوتُ المصريين تعـالى
فى صيحتهم شىءٌ مـا
إنَّ الحصـن يَـدَقُّ .. يـدقُّ
وينادون بـأنْ نستسلم
لا عسافُ . . ولا دبـابه
قـدمتْ حتى الآن إلينا

ـ يا روفى . . لا . . لـن نستسلم
مُـرْ رامى رشاشكَ يضـــرب
والمدفعجـــى مـره يضــــرب
حتى نفلتَ منهـم حينــا
سوف يجيـئُ لــواءٌ صاعــقْ
دبابـاتٌ أقـــوى منهــــم
ويلفُّـــونَ الموقـــع لَفَّــاً
من خلف جنـــودِ الأعـداء
والطيـرانُ سيضــربُ معهــم
ـ فُـوَّهَـةُ المدفـعِ سَـدُّوهــا
والرشاشِ
مــاذا نفعــلُ بالـدانـات ؟ !
* * *
عـرفـة * يطـــرق أمَّ البـاب :
افتح فـــورا يا صهيـــونىْ
ولـكَ الأمــنُ
افتح فـــوراً . . لا تتلكـأْ
اضــربْ لـو تتباطأ برهــةْ
ـــ ألنا الأمــنُ . . ولسنا نُقْتَـل ؟ !

* الرقيب إبراهيم احمد حسن عرفـة من الجيش الثانى .

ـ لـن نقتلكم . . افتحْ افتـحْ
ـ فلتنتظـروا . . كـى أجمـعَ جنـدىْ
... وأسلِّـم . .
(يا رفقـائـى . . إنّـا لـن نتـركَ أنفسنا
فى قبضتهم . . بل نخدعُهـم
أنّـا نفتح بـاب الحصـنِ
فـإذا دخلـوا قتلْنَـاهـم
فلتصطفُّـوا ببنادقكـم)
إنـى أفتـحُ هـذا الباب
فلتتقـدَّمْ لتُـأمِّنَـنَا
حين انفتحَ البابُ انطلقـتْ
قنبلـةٌ مـن غـازٍ
كَفَّـتْ رؤيـةَ أهـلِ الحصـنِ جميعـا
عرفـةُ أطلَـقَ من رشاشٍ
دفعـةَ نـارٍ
قُبِض الحصـنُ ومـن بالحصـنِ
وخـرُّوا فـوقَ الأرضِ ركـوعـا
رفعـوا الأيـدى
كانوا صيـداً ليس بسيطـا
ومضى أحمـدُ يَتْبَـعْ إبراهيـم وعرفـهْ

وأمامهمو الأسرى دَبُّــوا فى قيدهمــو
راشيلُ العــاريــةُ تبصبصُ
مثلَ النارِ تذيب الصــدأ من الوجــدان
يرنـــو المصـــرى
لا يتحـــركْ فى عينيه دبيبُ الشهـــوةْ
شدُّوا ستراً من أحـدِهمـو
ستروا عــوراتِ الغــانيةِ

* * *

عـرفــةْ يقبــعُ أعلـــى هضبـــةْ
والمنظـــارُ يعـــانـقُ صـــدرهْ
راح يفضُّ الظـرفَ . . ويتلو
يُسْمِع رمــلاً يرقــد فوقــه
تتلو الشَفَةُ ، يتلو القلبُ ، وتتلو العين :

«زوجــى عــرفــةْ . . يا أمنيتى
منذ العُرْسِ ـ وحتى الآن ـ مَرَّ علينا الشهرْ ويوم ـ لم أتمتَّــع منك ـ حبيبى ـ غيرَ ليالٍ ثم مضيتَ . طالَ الليلُ وطــالَ الشوقُ ، ويغمرنى ـ وأنا وحدى ـ حُلْمٌ .. حُلْمٌ . . أخجــلُ أنْ أذكــرَه !! حـُلْـمٌ أنَّـكَ فى أحضانى وأُقَبِّلكَ وتقبلُنــى ويفيضُ الشَّعْـرَ على وجهكَ . . تَتَشَمَمْـهُ وتمسحُ وجهـكَ ، بل تتركُــهُ بين شعورى . . أنتَ تُنقِّــرُ فــوق الخــدِّ بأصابعـكَ ، وأنا

أضحكُ فى تسبيلٍ . واستسلام ـ ليس هـزيمـةْ ... »

يا للـــرعـد . . هـزيمـةُ مَـنْ

هـــذى طائـرةُ مصـريهْ

تضـــربُ فانتـــوم

سقطتْ . . سقطتْ فى الهـاويـة

« .... ليس هـزيمةْ . . واضمُّك فأضـمُّ الفرحـةَ ..واللهفـةُ تـربـو تأخـذُنـى من حضنكَ نحـوكَ . . زوجـى عرفـهْ . . كـم أستيقظُ وأنـا أعـرف أنَّـك تغفـو بين يـدىَّ ، فإذا أنتَ بعـضُ هُـــدُوْمٍ ومخـدات ! ! . . لا أشتُمكَ بـل أهـــواكَ . . وأشرحُ لحظـــهْ . . من أيـامٍ لا تتقدم لا تتأخرُ بـل واقفـةُ عند لقـاءٍ . . حينَ . . حينَ تعانقتِ الأحـلامُ فإذا أنتَ وروحـى ننجبُ هـذا البَـذْرَ ببطنى يلهـو . . إنِّـى أحمـلُ منكَ حبيبى فأنـا الأمُّ وأنـتَ أبوه . . فمتى تأتى لتباركَـهُ فـى أعمـاقى ؟ ؟ ..أمُّكَ حينَ تـرى طـائـرةً تنظـرُ أعلى وتنادينا كيمـا ننظر فعسى يبدو وجهك منها ـ ثم بسيدى العجمى تقسم أنَّـكَ فيهـا ، وقـد حَيَّيْتَ ، رفعـت يـديك وشافت بَسْمَكَ والرشاشُ حليفُ يمينك : ... قـام أبـوكَ ـ بنصف الليلِ ـ ويجلسُ تحت العنبة وحـدْه .. يرفـع يدهُ بذراعيـهُ ويرفـع وجهَــهْ . . لا أتبيَّنُ صـوتاً ما . . ثم يعـودُ إلى مصطبتك . .

عرفـهْ زوجي. إنَّ أخاكَ محمدُ يأبى أنْ يستذكر أىَّ دروسٍ يطلب أنْ يأتيكَ ويبكى أنْ نمنَعَـهُ . قـل لـى عـرفـهْ

ما يقنعُـهُ . . ولك حبـى . .

. . زوجـكَ ليلى . . ثالثَ عشرَ من رمضـان ..

أحمـدُ يجتـرُّ الكلمات

ويـردِّدُهـا للبسمات

يستنشقُ نَفَساً أولُــهُ رفــعُ المنظـارِ

إلــى عينـــه

فـى آخـــرهِ كان لــواءُ الدباباتِ

وعسافُ يتقـافـزُ عَـدْوَاً بمقـدمتهْ

عـن بُعْـدٍ قَسَّمَـهُ ثلاثا

ليطـوِّقَ من خَلْـفٍ . .

يهجـمَ فيفكُّ حصـارَ الفــردان

ويعـود لبارليفَ الحصـنِ

والطيـرانُ يدعِّـم جنـدَهْ

لكـنَّ الخُطَّـةَ قد سَفَـرتْ

كَشَفُوهَـا أسرى الفــردان

فتحصَّـنَ عرفـهْ بجنــودهْ

وتخفَّـتْ بنقـــاطٍ أخــرى

دباباتُ المصـــريين

وتموَّهتِ التحصينـــات

لـم يُعْـرِبْ تصـويرُ الفانتوم

عـن أيّ وجـــودٍ للقـوهْ
وتقــدُّمَ عسافُ ثقــةً
يتبختـرُ ويُنَبِّهْ جنـدَهْ
ويؤكد : ذا الجـوُّ صفـاءُ
أنَّ المعـركـةَ لمحسومـهْ
سيحطـمُ قــوةَ أعـدائـهْ
ويعـود لبارليفَ الحصــنِ
وسيعبر للجهـةِ الأخـرى
ويلفُّ الجيشَ من الخلفِ
لا شكَّ . . الخطـةُ ناجحـةٌ
لا . . لا يبـدو . .
من أيـــن . . من أيـــن انقضُّ الطيــران
ويهاجـم طيـرانى . . يضـــربُ
يا .. يا . . يا . . ما أغـربَهــم ! !
وأمامـى . . من أين أتـوا !
ما كانت توجـد قـــواتٌ
لا . . فلنضـربْ . . لا أحـدٌ يستسلمُ منا
النجـدهْ . . النجـــدةَ
حوصرنــا
فلتسرعْ يا شمويلُ لنهـرب في عربتنا

قـد نتداركُ ما يمكنُنا
ـ إنَّ العـربة ليست تْمضى
قُطـــع السيــرُ
وقــد بَلَغْتُـكْ ! !
دعنى أهـربُ وحــدى . . وحـــدى
« سلّم نفسك يا جنـــدى
عـرفـهْ يصـــرخُ فى عساف
عـرفـه ينــذر :
سَلِّــم نَفْسَكَ ، وارمِ سلاحَـكَ ، وارفــع يــدَكَ
ـ لا للقتل . . سوف نُسلِّــم
هــا . . سلمنا ـ لا تقتلنا
يا جنـدىُّ أراكَ شجاعـا
وتحـدثنا الانجليزيةَ بطلاقتك
ما أشجعـك . . وأيـن الــ . . .
(شَـدَّ مسدسهُ فى برهــةْ
يقصـد قتله)
لكــنْ عـرفـهْ كان الأســرعَ
أدركَ أمَـرَهْ . . لــم يمهلـــهُ
ولــم يقتلهُ ، ولــم يتركـُـهُ
ضـــربَ سلاحَــهْ

سقطَ مسدسُـهُ من يـدِهِ دون إصــابهْ
عبثَ الخجــلُ بوجــهٍ خائــن
ـ يا عسافُ . . عيونى يقظـى
سَلَّــم عــرفـهْ كـلُّ الأســرى
لزميلينِ . . ثـم تحــرَّكَ
بعـــد ثــوانٍ فُجِــر لغـــمٌ
غَطَّـى وجـهَ الشمسِ ثـوانــى
ثـم انجــابَ
كان البطــلُ المصــرى
عرفـه . . شهيــدَ اللحظـــهْ

* * *

فإذا سال دَمٌ من عــربــىْ
لَــفَّ شفــاهُ الرمــلِ وروَّى صبحــاً
ظمــآنــاً للرؤيـــهْ ،
كَفَّــنَ فى بصقـــاتِ الرمل أكاذيبَ
افترعتْ عــذريــة وجـه الحــق
وشقتْ صــدرَهْ
مــا الفـانتوم أضحــتْ سيــدة
فــى جَــوٍّ يقبعُ تحــت رداء رؤاهُ
المصــرىُّ على مدفــعْ

أو صــاروخ

فلقـد أمــرَ الجيشُ الخاسرُ كـلَّ الطيـرانِ المنهزمِ

بالاَّ يقــربَ شرقَ الدلتـا

لكــنَّ كتائب مصــريهْ

تنتقـــل إليــه بسيناء

حلمى * . . . يدفـــعُ بكتيبتــهِ نحـــو الداخـلِ

ويهــزُّ الجـــوُّ بدانـاتـهْ

لكــنَّ الطيــرانَ يهاجـــمُ . . ويحطِّـم بعضَ سرايــاه

ويُصـــابُ الجنــدُ إصاباتٍ

ونزيـــهُ لا يرهــبُ غــدراً

تَساقطُ نــارٌ من أعلــى

تَصَّاعـد نــارٌ من أدنـــى

يتلقـى حلمى قصفـا من داناتِ مدافعهـم

والقصفُ الجــوىُّ يثنِّى

وتظـلُّ كتيبتــهُ تــردُّ

تنثــرُ جــوُّ الحــرب فنـــاء

عشراً أسقطهــا من فانتــوم

---

* المقدم نزيه محمد حلمى على حلمى قائد كتيبة دفاع جوى .. ولد بمدينة دمنهور فى ١٣ مارس ١٩٤١، والتحق بالكلية الحربية فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٩ .

* النقيب أحمد محمد السعيد عبد الباقى ، الحاصل على وسام نجمة سيناء .
ولد بالمنصورة أول ابريل عام ١٩٤٩ .. وبعد تخرجه فى الكلية الحربية قاد فصيلة دفاع جوى .

تُتْلَـى بثلاثٍ غـائـرةٍ

وفصيلـةُ أحمـدَ * صامـدةٌ

ليست أكثر من إيمـانٍ برجولتهـم

ليستْ تبغى غيـرَ جنـاحِ سلامٍ

يُوْلَـد فى أكناف العـدلِ الأبلق

عبد الباقى ، ليستْ عينٌ ـ قـد ودَّعهـا

فـى نيرانِ القصفِ الثائـرِ ـ تمضـغُ يأسا

فإذا كانت عينٌ ضاعتْ

قلـبُ العـادلِ ينظـرُ أعمـق

حُـبُّ العاشقِ للحـريةِ يبقـرُ بطـــنَ

الدَّمس العابث كـلَّ مساءٍ

عبد الباقـى بفصيلتـهِ

يُسْقِطُ خمسا من طيـرانِ الفانتوم تهـــوى

لا يتخلى عن معـركـةٍ عاشت بـه

قـد عاشَ لهـا

فالعينُ تغـادرهُ خلسةْ

يرفضْ أن يَقْطُـنُ مستشفى

فإذا اعتصـرَ الألـمُ الرأسَ

* النقيب احمد محمد السعيد عبدالباقى ، الحاصل على وسام نجمة سيناء .
ولد بالمنصورة أول ابريل عام ١٩٤٩ ، وبعد تخرجه فى الكلية الحربية .
قاد فصيلة دفاع جوى .

ضَـــمٌ الرأسَ بيــدهِ وهـــبٌ
ينظـــــر جنـــدَهُ
عبد الباقى ـ رغم زوال العينِ اليسرى ـ
بــاقٍ . . بــاقٍ
عبد الباقى فينا بــــاقِ

*



[عـــــودة]

يا بـنَ خـديجـةَ
يـومُكَ قــرنٌ
والجــوعُ يُغَـــذِّيكَ الصبــر
نَهْـــدُ خديجـــةَ لا يسقيكَ اللبــنَ . . فجــفّ
لكـــنْ يسقـى عـودَكَ عـــزما
يُـرْضِـــعُ شفتَكَ فيضَ الثــورهْ
كان المولـدُ حضــنَ الأسْــرِ
ستــةُ أعـــوامٍ تنتظــــــرُ
بـريـقَ الشمسِ بسَعَفِ النخــلِ
ستةُ أعــوام ــ عمــرُكَ ــ ما بُـوْرِكْتَ بطمـى النيـــلِ
وما لبستْ عينـاكَ هـــــواه
لا تحــزنْ يا «نصــر» ، فـأمُّـكَ قـبـضـــةُ رمــلٍ مــن سينـاء

أنتَ البَـذْرُ الناضـجُ فيهـا
يا نصـرَ خديجـةَ . . أنتَ تعـودُ
تعـودُ الآنَ مـن الأسـرِ

يـا بـلادَ الـرُّوحِ عـدنـا	مـن ثَنيَّـاتِ الليـالى
فـاسـتـرِدِّينا لفـجـرِ	مـن غـضـونِ الأسْرِ خـال
وازرعى الأشـجـارَ فـينا	وانـثـرى عَزْفَ الظـلال

يا نصـرُ تفيضُ بأحـلامِ
قـد جـازتْ حـدَّكَ
واستلقتْ فى كلِّ الخطـواتِ
هُيـامـا
فى صبحٍ أشرق – فى نظـرِكَ –
والتهمَ الأمسَ بـلا عـودهْ
وتعـودُ إلى مصـرَ . . وأُمُّـكَ
تأخـذُ يـدكَ وتخطـو بكْ . .
فإذا أنتَ بلا أصـداء ! !
وإذا الصبحُ مجـرَّدُ ومضـهْ
ذابـتْ . . ذابـتْ

أيـــنَ وكيــفَ ؟ ! !
فليتـكَ تـدرى ! !
وخـديجـةُ أمُّـكَ تصحبـكَ
نحـــوَ النيـــلِ . . فأنـتَ غـريـب
نحــوَ الجُـــرْنِ . . فأنـتَ غـريـب
نحـــو العُشْـب . . فأنـت غـريـب
غيـرُكَ يأكل منكَ الآنَ
وأنـتَ تجـــوعْ . . تجــوعُ . . تجـــوعْ
تأخـذُ أمُّـكَ ــ لا تأخـــذكَ ــ
نحـــوَ قبـــورِ الصـــدِّ يقيـن :
ــ من قـد مـاتَ بغيـــر وداعٍ ــ
تَــذْرِفُ دمعــهْ ! ! !

* * *

حـزين عمـــر (٣٠/١١/١٩٨٨م)

وشكر

(بدأتُ كتابةَ هذه الملحمة فى الساعة الثالثة وخمس وثلاثين دقيقةً من صباح الخميس ١٩٨٧/١٠/١٥ م .. وانتهيتُ منها فى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة ظهر الأربعاء ١٩٨٨/١١/٣٠ م

وأقدِّم فيضاً من الشكر إلى صديقى العزيز المقدم علاء الدين جرير ، الذى زوَّدَنى بالمَراجعِ التى تطلَّبتْها الملحمةُ .)

حزين عمــر

صدر للشاعر

ـ فصل من التاريخ الخاص (ديوان شعر)

عن هيئة الكتاب يناير ١٩٨٩

وله تحت الطبع

ـ الإبداع الجديد وقضايا المجتمع

في القصة القصيرة (دراسة نقدية)

ـ الميلاد . . غدا (ديوان شعر)

ـ العامية الفصحى (دراسة لغوية)

ـ رسائل .. إلى سلوى (رسائل أدبية)

ـ مع الضاحكين ..

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الأيداع بدار الكتب ٢٢٢٠ /٩٣

I.S.B.N.977-01-3265-9